

العنوان:

# الأساس الفلسفي للدين

عند وليام جيمس

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إشراف الدكتورة:

– بورنان خيرة

إعداد الطالبة:

– ضياف أمال

الموسم الجامعي: 2016 / 2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إهداء

### {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وحفظهما، الأم العزيزة التي ساندتني وكانت عوني في كل لحظة.

إلى الاب الغالي الذي كان سندي في مشواري الدراسي وسهر كل منهما على وصولي الى هذا اليوم اتقدم

بكامل الشكر لهما.

إلى من تشاركت معهم هذه الحياة ،وهدية والداي إخوتي : بدرة وزوجها ، الاخ نصرالدين ،إكرام ،سلسبيل

والى صغيرتنا ريتاج.

إلى من كان سندي في الاوقات الصعبة ،إلى من شاركني أحزاني وأفراحي رفيق الدرب والعمر الزوج " أيمن

نخال".

إلى عائلتي الثانية :السعيد ،نعيمة ،حذيفة

إلى كل فرد من أفراد عائلتي الذين ساندوني طول فترة مشواري الدراسي .

إلى كل الزميلات والزملاء وأخص بالذكر الاخ والصديق الذي ساعدني في هذا العمل داود شوفي، والأستاذ

حكيم .

إلى كل الزميلات رفيقاتي في الحياة :عبلة، صارة، وردة، زهرة، وداد، سميحة، مروة، ليليا، احلام.

إلى كل من سقط قلبي سهوا بنسيانهم

امال

## شكر وثناء

قال تعالى " ولئن شكرتم لأزيدنكم " سورة إبراهيم . الآية (07).

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا . طيبا مباركا فيه . ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، ولك يا رب على ما انعمت على من قوة وصبر في انهاء هذا العمل .

ثم اتوجه بجزيل الشكر والامتنان الى الاستاذة المشرفة الدكتورة "بورنان خيرة" التي لم تبخل عليا بتوجيهاتها ونصائحها العلمية والمنهجية القيمة التي كانت لي عوناً في اتمام هذا العمل .

ولا تفوتني المناسبة في هذا المقام الجليل ان اسدي خالص شكري الى كل الاساتذة والزملاء والزميلات على كل المساعدات والتوجيهات العلمية . فلکم مني اسمی عبارات التقدير والاحترام

واتقدم بخالص شكري الى كل اساتذة المعهد بجامعة المسيلة الذي يعمل على بعث روح العلم والفلسفة في الطلبة وكل زملاء قسم الفلسفة .

# مقدمة

إن الفلسفة البراغماتية الأمريكية، قد شكلت أهم اتجاه في فلسفات القرن العشرين والتي ظهرت على يد كل من شارلز بيرس الاب الروحي لها ووليم جيمس ، وجون ديوي، فكان لهم الفضل في ولادة الفلسفة البرجماتية، ان هذه الحركة قامت كرد فعل على التيار الميتافيزيقي ، القائم على المثالية العقلية باعتبار ان رواد البرجماتية يرفضون العقلانية لأنها مجرد بناءات خالية من المعنى والدلالات ، ومن هنا جاءت البراغماتية تنادي بالفكر العملي التطبيقي الذي يهتم فيه بمستقبل الانسان وحاضره ، لا ماضيه لان الماضي لا يخدم الانسان فالمستقبل هو ما يحتاجه الانسان من اجل ان يمضي تقدما في حياته ، وهذا ما يطلق عليها باسم فلسفة الحياة.

اعتبر وليم جيمس البراغماتية هي فلسفة الحياة ،التي تهتم بمشكلات الانسان في حياته ، من خلال ما تجلبه له من منفعة وخير وتحقيق لمطالبه مبدئها العمل وغايتها النتائج المترتبة عنه ، وما تحققه للإنسان وربما هذا كان حافزا دفع به الى تناول الدين ،او يرجع ذلك الى بيئته الدينية التي ترى ونشأ فيها فما يعرف على وليم جيمس ان عائلته كانت متدينة وخاصة والده، تناول جيمس الظاهرة الدينية واعتبر الانسان محورها لأنه كان يؤمن بقدرات الانسان وإرادته القوية.

لقد كان الدين من أهم العوامل التي ساهمت في تطور الحضارات وبروزها عبرال تاريخ ، فالدين روح الامة نجد أمة تخلو من الدين، وحتى بالرغم من أنه في القديم كان الجهل سائدا إلا أن الإنسان خلق لنفسه معبودا سواء تماثيل أو حيوانات أو الطبيعة... ونتيجة لبعض تساؤلات الإنسان وخوفه من بعض الظواهر كالموت مثلا أو لعجزه عن التنبؤ بالمستقبل مما جعله يلجأ للعبادة في معبوداته التي تفنن في اختيارها حسب معتقداته وفلسفته الخاصة.

إن الدين أو بالأحرى الفكرة الدينية تعد من اقدم المشكلات الفلسفية وأعظمها، فمنذ القديم الى غاية يومنا هذا مازالت الشعوب والمجتمعات تتنازع حول المعتقدات الدينية، بحيث أن لكل حضارة من الحضارات لديها دين أو معتقد تؤمن

به و تتجوه نحوه وتتمسك به، وهذا ما ينتج عنه اختلاف الاديان عن بعضها البعض، فنلاحظ أنه كان هناك كثرة وتعدد في المعتقدات الدينية، منها الدين الاسلامي، المسيحي، اليهودي، البوذي، وغيرها من مختلف الاديان على مر التاريخ. وكل واحد من تلك الاديان تخلق إله خاص به ، ولكن مع تطور الفكر والعلم في العصور خرج الدين من دائرة الخرافات وتعدد المعبودات إلى الغاء التعدد وتبّت التوحيد والايادان بوجود قوة واحدة او معبود واحد خلق هذا العالم وهو القوة العليا المطلقة.

فالدين هو الرابط الذي يجمع الانسان بخالقه أو بالقوة الاعظم منه ( الله )، حيث يشعر الانسان فيه بنوع من الايمان يكون فيه بصلة بقوة أعظم منه، قوة الهية تحقق لو الخير وتشعره بالراحة.

ظهرت مشكلة بين الدين والفلسفة، ولذا نجد العديد من الفلاسفة الذين تناولوا الفكرة الدينية بأراء المتفلسفة، من بينهم الفيلسوف الالماني كانط والذي جاء الدين عنده يقوم على اساس الواجب الاخلاقي ، فهو يعرف الدين على انه الشعور بالواجب ففكرة الدين عند كانط قائمة علا اساس اخلاقي محظ، كذلك نجد الفيلسوف ايميل دوركايم الذي يرى بأن الدين هو عبارة عن مجموعة من الأعمال والاعتقادات التي تكون متعلقة بأشياء مقدسة ، وغيره من الفلاسفة ولذا نجد كل فيلسوف لديه فكرته الدينية تختلف عن الاخر ، و بهذا الصدد سأتناول الفيلسوف الامريكي وليم جيمس الذي كان من بين الفلاسفة الذين تناولوا الفكرة الدينية ، وكذلك هو الاخر جاء بمفهوم الدين مغاير لمن سبقه من الفلاسفة ، بحيث اعطى وليم جيمس رؤية مغايرة لما كان في العصور السابقة.

اما بالنسبة لموقفه فهو جعل الدين امر بين وسطين، اي بينما هو فلسفي وبين ما هو عملي سيكولوجي ،لذا صعب تحديد موقف وليم جيمس من الدين. ولذا فان الاشكالية التي طرحت والتي تخدم موضوع بحثي تتمثل فيما يلي:

ما هو الأساس الفلسفي للدين عند وليم جيمس؟

وهذه الاشكالية تتفرع الى تساؤلات فرعية من بين هذه التساؤلات:

ما معنى البراغماتية؟

فيما تمثلت اشكالية علاقة الدين بالفلسفة ؟

ما هو المنهج البراغماتي الديني؟

اما فيما يخص اسباب اختيار الموضوع فهي:

الرغبة والفضول لمعرفة افكار وليم جيمس فيما يتعلق بالدين .فالرغبة في عمل بحث من اهم الدوافع التي تساعد الانسان في تقديم بحث بذل جهد عليه. الاطلاع على الموضوع والاستفادة منه ،وافادة كل من لديه رغبة في التطلع و المعرفة.

ملائمة موضوع البحث لقدراتي المعرفية

ومن خلال مجموعة التساؤلات المطروحة فقد اعتمدت في الاجابة عليها على المنهج التحليلي والذي استخدمته في تحليل الافكار وخاصة في الفلسفة البراغماتية بالتحديد فالأفكار الفلسفية تتطلب التحليل ، وكذلك المنهج المقارن والذي استعملته في فكرة الدين وخاصة اشكالية علاقة الدين بالفلسفة، وبين الدين الفكرة الدينية عند جيمس مقارنة بما سبقوه.

وقد اعتمدت على أهم كتب عند وليم جيمس:

ارادة الاعتقاد: وليم جيمس والذي تم استعملته في فكرة التعدد والفكرة الدينية.

البراغماتية: وليم جيمس والذي جاء استعماله في الفلسفة البراغماتية.

وفيما يتعلق بالدراسات السابقة لموضوع بحثي فهي قليلة بالرغم من انها

تخدم الموضوع ولكن ليس بتعمق ومن بين المذكرات التي اعتمدت عليها:

أم كلثوم يوسف ابراهيم: برجماتية وليم جيمس

خالد عياش: نقد الميتافيزيقا في الفلسفة الامريكية ،

وقد قسم هذا البحث الى ثلاثة فصول ،وتتدرج تحت كل فصل عنصرين

،بالإضافة الى المقدمة والخاتمة.

بحيث جاء في الفصل الأول بعنوان: البراغماتية وعلاقة الفلسفة بالدين ،

والذي يتضمن عنصرين أولاً: مفهوم البراغماتية ،ثانياً إشكالية علاقة الفلسفة بالدين

أما الفصل الثاني فقد عنون ب "وليم جيمس ومنهجه البراغماتي" : والذي تناول عنصرين : أولا السّنة الذاتية لوليم جيمس ، ثانيا المنهج البراغماتي ومبادئه. وقد جاء الفصل الاختَ برت عنوان :الدين والفلسفة وأهم الانتقادات ،والذي احتوى عنصرين: أولا الدين كتجربة براغماتية ، وجاء يتضمن عنصرين: الدين كتجربة شخصية، الدين كتجربة براغماتية، أما ثانيا الانتقادات الموجهة لجيمس وبالنسبة الى الصعوبات التي واجهتني:

قلة المصادر وعدم توفرها بكثرة في مجال الدين.

صعوبة ضبط الافكار وذلك لتضاربها في المراجع.

قلة الدراسات السابقة التي تتناول موضوع الدين بتعمق

## الفصل الأول :



### البراغماتية وعلاقة الفلسفة بالدين

#### العناصر :

الفلسفة البراغماتية المفهوم والنشأة.



تاريخ اشكالية العلاقة الدينية



بالفلسفة

## الفصل الأول: البراغماتية وعلاقة الفلسفة بالدين

## المبحث الأول: الفلسفة البراغماتية المفهوم والنشأة.

## \_ مفهوم البراغماتية:

البراغماتية: هي إسم مشتق من اللفظة اليونانية براغما Pragma معناه العمل وهي مذهب فلسفي يقر أن العمل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح ، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي الفكرة التي تحققها التجربة فكل ذلك يتحقق بالعمل فهو الحق، ولا يقاس صدق القضية الا بنتائجها العلمية<sup>1</sup> ، ومعنى ذلك كله انه لا يوجد في العقل معرفة أولية تستنبط منها نتائج صحيحة ، بصرف النظر عن جانبها التطبيقي ، بل الامر كله رهن بنتائج التجربة العلمية التي تقطع مضان الاشتباه ، واذ كانت الحقائق العلمية تتغير بتغير العصور فان الصدق في الحاضر قد يصبح غير صادق في المستقبل، ونتيجة لذلك فان صدق القضايا يتغير بتغير العلم<sup>2</sup>.

ولقد أوجد هذا المصطلح الفيلسوف الأمريكي "تشارلز بيرس" نحت جديد من أصل إغريقي، وتحديد من الكلمة اليونانية Pragma ليدل بجدة اللفظة على جدة المذهب، وإلا فقد كان بوسعه أن يختار كلمة أخرى من اللغة المستعملة ليشير بها إلى الجانب العلمي التطبيقي الذي أراده.<sup>3</sup>

- ثم تطور هذا المصطلح على يد وليام جيمس ومن ثم جون ديوي وهو إن اتفقوا في الأصول فإن لكل واحد منهم لون يميزه في نظره للبراغماتية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، القاهرة، جمهورية مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983م، 1409هـ، ص111.

<sup>2</sup> جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 402

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود : من زاوية فلسفية، دار الشروق، الطبعة 4، ص، 202.

<sup>4</sup> د مصطفى النشار : مدخل الى الفلسفة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ط4 ، 1998، ص164.

## \_ نشأة البراغماتية :

في لقد كانت وما تزال الفلسفة البراغماتية في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر الفلسفات أثرا ونفوذًا ، فقد إرتبطت وثيق الإرتباط بالنشاط الفلسفي في ثوبه الأمريكي ، فكان تركيزها علي ما هو عملي مباشر واضح الفائدة. وصارت البراغماتية طابعا يميز الفكر الأمريكي بحيث إرتبطت إرتباطا يجعل الواحد منهما دالا علي الاخر، حتي أن قيل "فكر امريكي" وثب إلي الازدهان فكر براغماتي، وان قيل "فلسفة براغماتية"، ورد علي الخاطر الفكر الامريكي.

الفلسفة البراغماتية تعد رافد من روافد التيار المادي في معناه ، فهي ذات صلة بالمذهب المنفعي هي أكثر الفلسفات حيوية في المناخ الامريكي ،وهي ذات جذور عميقة بحيث نرجع الى أصولها خارج النطاق الامريكي ،فإننا نجد ان زعماء الفلسفة السفسطائية امثال براتوغوراس وجورجياس وغيرهم يعتبروا أنهم جذور اولى للبراغماتية ، من خلال جعل الانسان مقياس كل الاشياء ، " إن الاشياء هي بالنسبة الي علي ما تبدو لي وهي بالنسبة إليك علي ما تبدو لك، أنت إنسان وأنا انسان، وكلانا علي صواب حتي وان اختلفنا"<sup>1</sup> وهذا ما يؤكد أن البراغماتية فلسفة قديمة ، تضرب بجذورها عبر التاريخ الفلسفي ، معبرة في كل مرحلة عن عصرها.

واجهت البراغماتية تعقيدا وغموضا خلال مرحلة نشأتها وذلك من خلال عدة عوامل ،" إن الحدث التاريخي الخاص بميلاد البراغماتية قد إكتنفه شيء من التعقيد ذلك ان البراغماتية كانت نتاج للعمل الجماعي حيث احاطت بنشأتها مؤثرات عدة ومتداخلة في داخل ما يعرف بالنادي الميتافيزيقي"<sup>2</sup> ،يعتبر النادي الميتافيزيقي شاهدا على ميلاد البراغماتية ، والذي كان يناقش فيه الكثير من القضايا التي شعلت تاريخ البراغماتية والمتمثلة في مجموع النقاط التالية :

\_ مسالة صحة المعرفة من خلال تناولها بطريقة استقرائية.

<sup>1</sup> يوسف كرم :تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط4، القاهرة ،1958،ص 45

<sup>2</sup> عبد المتعال زين العابدين : في الفلسفة المعاصرة الخرطوم ، طبعة جامعة النيل ، 1994،ص 17.

\_\_ التحقق التجريبي متفق على الايمان باتفاق بين الملاحظ والكليات والتي تشكل الواقع والحقيقة .

\_\_ نظرية كانط من خلال ان الذهن يحدد الموضوع الواقعي .

\_\_ يجب تحرير العلم من افساده بالاسمية والفردية والمادية ، من خلال احياء الواقعية عن طريق المنطق .

\_\_ يجب على الفلسفة والرياضيات ، ان تتخذ صورة عملية وذلك بان تنه الى اثبات واقعية العمل الجماعي<sup>1</sup>

كتب بيرس حول اجتماعات النادي الميتافيزيقي والذي يرى أن أعضاءه لم يعبأ اي أحد منهم في إعطاء أفكاره أو أن أعضاء النادي الميتافيزيقي لم يعبأ أي أحد منهم مما كانوا يقدمونها و في مناقشاتهم للقضايا بل على العكس من ذلك هاذا الامر قد بين ان البراغماتية تعد ان تكون اكثر من نتيجة، وقد تأثر بيرس بأفكار كانط وكان كل من وليم جيمس، وأعضاء النادي يعتبرون رجال علم ، من خلال فحص لنظريات الميتافيزيقية في جانبها العلمي ، والتفكير الانجليزي.

إن النادي الميتافيزيقي وما يحتويه من مناقشات لمسائل فلسفية يعتبر من الحالات النادرة في الفلسفة حيث أحدث ضجة هذه النظرية الفلسفية ، مثل الضجة التي أحدثتها البراغماتية أيضا ، وهذا يدفعنا الى تشبيهه بالنادي الذي وضعه جون لوك ، والذي شكل بداية إتجاه جون لوك الى الفلسفة على أثر تلك المناقشات .

إن البراغماتية كانت ثمرة جهد عقول مشتركة ، بالرغم من ان الفضل الاكبر في نشأتها يعود الى بيرس ، والدليل على ذلك ان بيرس عندما اراد ان يكتب عن البراغماتية فانه قد لجأ الى جيمس ، واخذ رايه حول من هو الذي انشا لفظ البراغماتية ولقد كان رد جيمس كالآتي: " أنت مخترع البراغماتية وقد اعترفت لك بذلك في محاضرة قدمتها بعنوان التصورات الفلسفية والنتائج

<sup>1</sup> هيربرت شيدر : تاريخ الفلسفة الامريكية ، ترجمة د،محمد فتحي الشنطي ، القاهرة : مكتبة النهضة ، 1964، ص 339\_338.

العلمية"<sup>1</sup>، ورغم الاختلاف حول المكون الأول للبراغماتية كفلسفة في الفكر الأمريكي إلا أنه يظل تشارلز بيرس سندرس هو الأب الروحي للبراغماتية الحديثة وأول المبشرين بظهورها.

هذه هي بدايات ظهور الفلسفة البراغماتية الحديثة على يد بيرس والنادي الميتافيزيقي. وبما أن بيرس يعتبر المؤسس الفعلي للفلسفة البراغماتية سوف اتطرق لعرض أهم أفكاره في البراغماتية :

### 1- مؤسس البراغماتية:

#### تشارلز بيرس: 1839-1914: Charles Senders Peirce

يعتبر بيرس هو المؤسس الأول والرائد الأول للبراغماتية، وأكثر قطب من أقطابها عمق في مفهومها، إلا أنه أقل واحد فيهم شهرة حتى إن مؤلفاته لم تنتشر إلا بعد وفاته بأعوام طويلة فهو الذي أنشأ الفلسفة البراغماتية.<sup>2</sup>

إن بيرس من الأوائل المؤسسين للفلسفة (المذهب) البراغماتي لكن بيرس لم ينل شهرة في عصره وحتى أن مؤلفاته لم تنتشر إلا بعد موته بالرغم من أنها تخدم المذهب البراغماتي ولها أهمية كبيرة إلا أنها ظلت حبيسة ولم تنتشر، اتصل بيرس بمعظم زعماء الفكر الأمريكي في زمنه، تأثر بكانط كما أنه تأثر بداروين وقد أخذ عنهم العلم التجريبي، وكما أنه كان له تأثير كبير على الفلاسفة الأمريكيين مثل وليم جيمس.

قام بيرس بنشره مقاله له كتبه عام 1878 وهي تحت عنوان (كيف نجعل أفكارنا واضحة) أراد أن يبين بيرس فيها أن عقائدنا هي قواعد من أجل العمل والأداء وذلك من خلال وضوح الفكرة التي جعل منها السبيل في تحديد نوع السلوك الذي تصلح لإنتاجه.

<sup>1</sup> عبد المتعال زين العابدين : الفلسفة المعاصرة ، ص 18،

<sup>2</sup> فؤاد كامل: اعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، ص 95 .

ويذكر بيرس القاعدة لتحقق من دلالة المعنى التي نستخدمها فيقول "ان تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لما قد ينتج من هذا الموضوع ، ومن اثار عليه لا اكثر"<sup>1</sup> ، من هنا يرى بيرس ان الحقيقة تعرف من خلال ما تنتجه من عمل لا من حكم عقلي ، وان صدق الفكرة يكون من خلال ما يترتب عليها من نتائج ، بحيث يمكننا ان نقول بصدق هذه العبارة وما يترتب عليها من نتائج في مجال السلوك والعمل .

كما اشار بيرس الى نقطة مهمة تتعلق بالعبارات من ناحيتين الاتفاق والاختلاف في المعنى واللفظ ، بحيث ان معنى عبارة ما يكمن في السلوك الذي ينتج عنها ، بمعنى ان اذا العبارة اذا اختلف فيها المعنى واتفق فيها السلوك ، يكون هناك اتفاق بالرغم من اختلاف اللفظ ، واذا اختلفت عبارتين في السلوك واتفقتا في اللفظ فهذا يعني ان المعنى يتغير .

وهاذا معناه ان البراغماتية عند بيرس ، هي تعتبر نظرية في المعنى ، فالمعرفة تنحصر في النتائج العملية.

يقول بيرس عن نفسه: " أنه عندما كان يدرس المدارس الفلسفية كلها، ويتبع طرائق الفكرة عند أصحابها لم يكن ينظر إليها من وجه نظر الفيلسوف اللاهوتي، الذي يتناول مادته وكأنما هي معصومة من الخطأ، بل كان ينظر إليها من وجهة نظر الباحث العلمي في معمله، فيبحث عن الجديد الذي لم يعرف بعد."<sup>2</sup>

بيرس يصف نفسه بأنه عندما يدرس المدارس الفلسفية يقوم بخطوات من خلال تتبع آثار الفلاسفة ولكن لم يحكم عليها بنظرة لاهوتية، فقد كانت له نظرة مخالفة كان الفيلسوف هو العامل في معمله دائما يبحث عن الجديد، كان يدرس كتاب: " نقد العقل الخالص لكانط، حتى حفظ

<sup>1</sup> أم كلثوم يوسف ابراهيم احمد: براغماتية وليم جيمس ، زين العابدين المتعال ،2004،ص،22

<sup>2</sup> منصور بن عبد العزيز الجبيلي: البراغماتية عرض ونقد ،ص 282.

محتواه عن ظهر القلب وقد طبق بيرس هذا المنهج على فلسفة الألمانية على وجه الخصوص وحتى انتهى إلى نتيجة مفادها أن معظم الفلسفة الألمانية ليس بذات قيمة تذكر<sup>1</sup>.

قام بيرس بدراسة لكانط من خلال كتابه نقد العقل الخالص وبعد انتهائه من دراسة هذا المحتوى للكتاب قام بتجربته و طبقها على الفلسفة الألمانية فوجد أن النتيجة ليست نفسها لدى الجميع بل متغيرة لأنها ليست بقيمة التذكر باعتبار المنهج يؤدي إلى فكر جديد وليس منهج ثابت.

تحدث بيرس فلسفته من خلال ذكره بأنها عبارة عن محاولة فيزيائية من تصوير لبنية الكون ولكن هذا التصوير يكون ضمن المناهج العلمي لا يمكن أن تتجاوزته، وذلك من خلال استعانه بالفلاسفة السابقون، ولكنه لم يكن يستعمل نفس طرق الميتافيزيقيين لقد أقر بأن طريقته هي طريقة العلم نفسه. "إن فلسفتي يمكن وصفها بأنها محاولة فيزيائية أن يصور بنية الكون تصويراً لا يتعدى ما تسمح به مناهج البحث العلمي، مستعينا بذلك بكل ما قد يستعين إليه السالفون لكنني لن اصطنع في هذا طرائق الميتافيزيقيين في الاستنباط الذي يقيمونه على فروض من عندهم فيصلون إلى براهين يصفونها بالصواب والخطأ ولذلك فهو يتميز أول ما يتميز بقابليته للصواب وللخطأ وفق ما تقدمه المشاهدة لنا بعدئذ من شواهد"<sup>2</sup>

لقد تميزت فلسفة بيرس كما يقول أنها فلسفة تتميز بالعملية تجريبية وأقر بأنها ليست تأملية، ويرى أنه إذ تبين إلى الكون حقيقة ما فإنها بالضرورة تعتمد على الوقائع التجريبية، فهو يرى بأن الطابع العلمي يتحدد ويشترك فيه الفلاسفة، لا يكون عملاً واحداً منفرداً على عكس الإنتاج العقلي الذي يكون واحداً لدى فرد واحد يكون من البداية حتى الأخير فالفلسفة البراغماتية تتميز بنمط الفلسفة العلمية.

<sup>1</sup> منصور عبد العزيز الحجيلي: البراغماتية عرض ونقد ص 282

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود: من زاوية فلسفية ص 202\_203

"إن أهم ما يميز فلسفة بيرس أنها فلسفة علمية تجريبية، والذي يجعلها علمية تجريبية تأملية هو أنها ما نسبت إلي لكون الحقيقة اعتمدت على تأييد الواقع التجريبي، مع ملاحظة هذا التأييد قد لا يوجد على يد الفيلسوف نفسه قد يوجد على يد باحثين من بعد"<sup>1</sup>.

إن بيرس في منهجه يقر بأنه براغماتي ولكن في نفس الوقت هو قاعدة من أجل تحديد للمعنى وهنا يمكن القول بأنها هي نظرية في المعنى، بحيث يرى بيرس نظرية المعنى تنظر لجميع الأفكار بنفس الطريقة لا يوجد اختلاف. ويقوم منهج بيرس من خلال فكرتين :

1\_ الفكرة الحقيقية هي التي تجد طريقها الى العمل التطبيقي من خلال تحديد الهدف.

2\_ الفكرة حول موضوع ، فهي فكرة حول النتائج المترتبة عن الاثار العملية ، اذا العمل هو معيار صدق الفكرة .

ولكي تكون الفكرة واضحة يسهل علينا ان نعتقد بإمكانية تطبيقها ،"ام معنى الفكرة التي نعتقد في صحتها هو ما انت على استعداد للقيام به من عمل ازائها...ومدام الاعتقاد هو قاعدة الفعل وتطبيقه يتضمن شكا اكثر واكثر، وفي الوقت نفسه هو امكان لتوقف ،فهو ايضا مكان للبدء في التفكير"<sup>2</sup>، فالاعتقاد شرط من اجل تطبيق فكرة ما.

ان بيرس اول من ادخل لفظ برغامتيك ، وهو الاب الفعلي لنشأة البراغماتية ،حيث يظل المبدأ القائل بان معنى الافكار والمصطلحات هو القاعدة التي انطلقت منها الحركة البراغماتية ، بكل تنوعاتها ومسمياتها في الولايات المتحدة الامريكية ، وانحاء العالم وهذا ما يلاحظ عليه انتقال وانتشار البراغماتية كفلسفة امريكية خالصة .

أنواع البراغماتية:

<sup>1</sup> د:زكي نجيب محمود :نافذة على فلسفة العصر سلسلة فضيلة تصدرها مجلة العربي ، الكتاب السابع والعشرون ، 15 أبريل 1990،ص 219.

<sup>2</sup> هربرت شيدر:تاريخ الفلسفة الامريكية ، ص431.

أ- البراغماتية الإنسانية: "وهي ترى أن كل ما يحقق الأغراض والرغبات الإنسانية حق، وهذا النمط يتضح لنا بجلاء كتابات الفيلسوف الأمريكي وليام بالذات في كتابه عن الأخلاق والدين"<sup>1</sup>، وقد نقل الفيلسوف الإنجليزي شيلر هذا النمط إلى إنجلترا وأسس المذهب الإنساني.

ب- الترجيبيية: "وهي ترى أن الصف هو ما يؤدي إلى العمل بمعنى ما يكون محققا تجريبي، وهذا المبدأ الذي تقوم عليه البراغماتية التي تعد تطويرا للمنهج التجريبي"<sup>2</sup>.

إن البراغماتية تقوم على مبدأ أساسي وهو التجربة فهي تؤمن إلا بالعمل المحقق والمطبق تجريبيا، وهذا ما تعتمد عليه البراغماتية من اجل تطوير المنهج التجريبي.

### ج- البراغماتية الإسمية:

"وهي فرع من البراغماتية التجريبية، حيث ترى أن نتائج الأفكار هي ما تتوقعه في صورة وقائع جزئية مدركة في الخبرات التي تحدث في المستقبل وعلى سبيل المثال فإن معنى الطبيعة الإنسانية والأقوال الصحيحة التي تقال عن هذه الطبيعة لكل هذا ليس عن جوهر معين للإنسان، بل لأحدى من الأفعال الجزئية للأفراد الناس الجزئية وقد كان بيرس وجيمس يأخذان بكلا النمطين"<sup>3</sup>.

تعتبر البراغماتية الإسمية فرع من فروع التجريبية، فنتائج التي تنتج من الأفكار عبارة وقائع جزئية سوف تحدث في المستقبل وقد أعطى مثال على ذلك في الإنسان مثلا الطبيعة الإنسانية لا تعبر عن جوهر إنسان فقط بل من أجزاء الأفعال لأفراد من الناس، وقد قام كل من الفيلسوفين بيرس وجيمس بالعمل مع كلا النمطين التجريبي والإسمي.

<sup>1</sup> وليام جيمس: البراغماتية، تر: محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، القاهرة، 2008، ص318.

<sup>2</sup> منصور عبد العزيز الحجيلي: البراغماتية عرض ونقد، ص298.

<sup>3</sup> محمد مهديان رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، د.ط، درا الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1984 ص44.

د- البراغماتية البيولوجية: "وهي الرؤية البيولوجية للبراغماتية ويرتبط هذا النمط بشكل دقيق بالعالم البرغماتي ج. ديوي ويرى أن هذا النمط ويهدف إلى مساعدة الكائن العضوي للتوافق مع بيئته، فالتأقلم الناجح المؤدي للبقاء والنمو هو بمثابة المعيار على صدق الأفكار"<sup>1</sup>.

ظهر الموقف البيولوجي بشكل أكثر دقة مع جون ديوي حيث اعتبر البيولوجي هي بمثابة رؤية للبراغماتية وهذه الرؤية تساعد الإنسان أو الكائن ليتأقلم مع بيئته من اجل الحفاظ على البقاء، وهو معيار صدق الأفكار.

### ثانيا: تاريخ إشكالية العلاقة الدينية بالفلسفة.

#### 1/ الدين والفلسفة عند اليونان :

لم تهتم الفلسفة اليونانية بإشكالية الدين بقدر ما كان اهتمامها منصب حول العلم والفلسفة ، لقد كان هناك نزاع قائم بين الدين والفلسفة (وهي التأويل العقلي للعالم والحياة ) ، بالرغم من ان هناك من يقول بان الفلسفة قد نشأت من الدين نفسه.

"والملاحظ ان الدين في اليونان لم يكن يقوم بخدمته رجال الكهنوت ، ولذلك مما يترتب عليه ان الدين لم يظهر في ثوب من العقائد الشبهة الواجبة وانه لم يفرض الاطقوس"<sup>2</sup>، مجرد افعال تقوم بإشغال جزء من حياة الانسان فقط، بالإضافة الى ذلك انه لم يكن الا مجرد خرافات واساطير التي تذهب عقل الانسان ، ولكن في اعتقاد بعض الباحثين انه من الخطأ والعبث ان ترد نشأة العقائد الاولية الى الخرافات ، "ولكن الانسان اليوناني عرف بجوهره الفني ، حتى انه كان يلهو بموضوعات فنونه الى الخرافات ، ولكن الانسان اليوناني عرف بجوهره الفني ، حتى انه كان يلهو بموضوعات فنونه"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد مهران رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص44-45.

<sup>2</sup> ايميل بوترو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1983، ص 9.

<sup>3</sup> ايميل بوترو : العلم والدين ، ص11.

حتى وان تعلق الامر في الحديث عن الالهة واعتبروا ان الالهة التي علمت الانسان الاصول الاساطير بانها فانية ، ومحدودة وهذا الامر جعل من الفلسفة تتطور في جو من الحرية ، وهذا ما عبر عنه زي نوفان باعتبار ان البشر هم الذين خلقوا الالهة ، لان الالهة يلمسون فيها عواطفهم ولغتهم ، وقد سخر بعض السفسطائيون من الالهة امثال بروتاجوراس بحيث يرى بان البحث في الالهة ان كانت موجودة ام غير موجودة ، فهذا الامر ليس بالاهم وهو فيه غموض ويضيع من وقت وعمر الانسان ، فالإنسان من خلال بحثه عن الالهة وعن وجودها يعتبر انه ضيع وقته في موضوع لا أهمية له.

"وهكذا نمت الفلسفة ساخرة، متعالية، غير حافلة بالمعتقدات الدينية، واستقلت في الاخلاق وتحررت حتى في السياسة"<sup>1</sup>، ان نمو الفلسفة كان متعلقا بنمو العقل لدى الانسان، وكان شغف المفكرون منصب على العقل واتخذوا مبدا للإنسان و مبدا الكون ، وكان العقل مصدر الهامها من خلال الفن الذي نجد فيه صراع بين فكر الفنان مع عادة غير متجانسة ، والتي لا يتحقق فكره الا عن طريقها فكل من ارسطو وافلاطون يرو ان هذه المادة هي منفر العقل ، ولكن لو تعمقنا في جوهرها لوجدنا انهما متقاربان.

لقد قام فلاسفة اليونان برفع شان العقل ، وان له الدور في الطبيعة بحيث كان العقل يسمو الى درجة انه جدير بان يتصف بصفة الالهية بحيث كان لدى ارسطو فكرة ان الطبيعة كلها متعلقة بالعقل ، ولكنها لا يمكن ان تبلغ مرتبته ومن خلال اثباته لوجود الفكر في ذاته فقد اصطلح عليه باسم الاله ، "ومع ذلك ليس الاله هو العقل تجريدا او استدلالا ، انه رئيس الطبيعة انه الملك الذي يحكم جميع الاشياء ، وهو جدير حقا باسم زيوس"<sup>2</sup> ، ونجد الحكيم الرواقي كليانثس يخاطب زيوس بحيث يقول له بان الكون الذي يتحرك في السماء ، هو يتحرك حينما تحركه انت ، ومن خلال يدك التي تقبض بها على الصواعق تخضع كل شيء الى العقل العام ، وبانه لا يتم اي شيء الا من خلالك ، هذا يعني ان الدين في اليونانية تجسد من خلال اساطير شعبية .

<sup>1</sup>المرجع نفسه ،ص12.

<sup>2</sup>المرجع نفسه ،ص 12.

فالدين الفعلي يأمر باحترام القوانين والوفاء بالواجب ، وبشد ضعف الانسان لما يقدمه من عون الالهة ، ولكن هذا لا يعني ان الدين مؤول للعقل وعيناله ، بل على العكس من ذلك فهو يتشارك معه من خلال ان الفلسفة هي التي تكشف العلاقة بين العقائد والعقل الكلي ، ولذا وجب على العقائد ان تحتفظ بكل ما يفيض من نفوس الفلاسفة .

**"وهكذا وفقت الفلسفة شيئا فشيئا بين نفسها وبين الدين"<sup>1</sup>** ، بحيث نجد ان كل من افلاطون وارسطو قد سلموا بالاعتقادات الموروثة ، وقد التمسوا في الخرافات اثرا بمعنى انها تشكل بداية الفكر الفلسفي ، وجاء الرواقيون وجعلوا من العقل وحدة من معاني الوجود وهو اسمى جزء من النفس ، وهو مبدا جميع الاشياء ، فلا بد من ان يكون موجودا في معتقدات الناس ، بحيث يوجد حيث يعلمهم الابتعاد بين انفسهم وابين افكارهم وعواطفهم ، حتى انهم اعتبروا الخرافات ، والاساطير ، والاحتفالات الدينية تجعل من الالهة تنزل الى منزلة الانسان ولذلك فإنها تستحق الازدراء ، يقر الراقيون في هذا الصدد بانه لا بد ان يؤثر العقل في الناس جميعا وليس الخاصة منهم ، لأنه لا بد ان يتخذ العقل صورا مختلفة تناظر تباين الفهم .

ما نخلص اليه ان اليونانية نظرت الى جوهر العقل على انها بإمكانها التعالي به الى درجة الواحد اللامتناهي تفوق العقل نفسه ، وكلما سمت الى درجة الالهية لا بد لها من وسائط والتي كانت من وجهة نظر العقل تتمثل في المبادئ الدينية ، فاليونانيون لم يعطوا اهمية للدين الموروث من الشعب بقدر ما كان اهتمامهم منصبا على العلم ولم يعترفوا بحقيقة وجود الله.

## 2/ الدين والفلسفة في العصور الوسطى:

سبق وان راينا موقف الفلسفة اليونانية من اشكالية الدين والفلسفة بحيث الفلسفة اليونانية دخلت في صراع مع الديانات الشعبية ، اما في العصر الوسيط سوف نرى هناك تغيير في اشكالية الدين والفلسفة بحيث ان العصر الوسيط نجد فيه ان الخطاب الديني لا يتعارض مع الخطاب الفلسفي ، بل هناك محاولة توفيقية بين الفلسفة والدين من خلال ما يلي :

## الفلسفة اليهودية:

<sup>1</sup> ايميل بوترو : العلم والدين ، ص14.

الحديث عن الفكر الفلسفي اليهودي في نهاية حضارة الاغريقية، فلا يوجد اعظم من فيلون الاسكندري، فيمكن اعتبار فكر فيلون الحلقة المهمة في اليهودية التي حاولت الربط بين الوحي الالهي في اليهودية والفلسفة الميتافيزيقية لدى الاغريق ، بحيث قام بنقل الفكر من الوحي الى الفكر الفلسفي.

من هذه النقطة الاساسية جاء اهتمام فيلون ينصب على محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة ،الدين من خلال كتاب التوراة اي (الوحي) ، والفلسفة الميتافيزيقية من جهة اخرى وقد كانت احد العناصر الاساسية التي اعتمدها في اشكالية الوحي والميتافيزيقا و هي التأويل ، "كان فيلون اول مفكر يهودي اعتبر بعض احداث في عهد القديم لا يمكن فهمها او تفسيرها جيدا الا عن طريق التأويل او المجازية"<sup>1</sup>

استخدم فيلون التأويل في فهم النصوص الدينية التوراة ، اي العهد القديم حيث تخلص فيلون من مشكلة التفسير للعهد القديم هاذا كان من ناحية الوحي اما من ناحية الفلسفة فقد استعمل مصطلح اللغوس الذي شهد كان بارزا في الفلسفة اليونانية بحيث استخدم هاذا المصطلح في تفسير سلوكيات الاشخاص من خلال الفضيلة والرذيلة كما ان فيلون جعل للنفس التي تريد العودة الى الله من خلال ثلاثة طرق وقد نسب كل طريق الى نبي من الانبياء بحيث جعل الطريق 1 يكون عن طريق الاجتهاد والزهد وهو طريق المتصوفة نسب الى سيدنا يعقوب ، اما الطريق الثاني فقد كان عن طريق الدراسة والمعرفة وهو طريق نبينا ابراهيم عليه السلام ، اما الطريق الاخير كذلك هو طريق الانبياء التي كانت من عند الله وينسب الى اسحاق عليه السلام نخلص من خلال ذلك ان فيلون جعل الديانة اليهودية متناسبة مع كل الديانات .

اما بالنسبة لمشكلة الوجود نجدها عند جميع الفلاسفة من بينهم تصوّر فيلون للوجود الذي جاء مزيج من العقيدة اليهودية والفلسفة اليونانية فالله مفارق للعالم, خالق له, معنيّ به, لا يدركه العقل, وخاصة انه حاول نقل التوراة من قصص الانبياء الى الفكر الفلسفي القائم على العقل ، وبالأخص ان فيلون عالج هذه المشكلة في عصر طغت فيه الافكار اليونانية وهذا ما نلاحظه على افكار فيلون انها مزيج بين افكار يونانية الميتافيزيقية وديانة اليهودية .

<sup>1</sup> يوحنا بيدوايد الحوار المتمدن-العدد: 3029 – 2010 www.ahewar.org

"أما وجود العالم فيعزيه الى الله الخالق من العدم كما هي في سفر التكوين الفصل الاول، ويشبه خلق النفوس بولادة الافكار من العقل"<sup>1</sup>، ان تصور فيلون لله باعتبار هو العلة الاولى، اللامتناهي، الموجود حقًا وأبو العالم ونفسه وروحه، كما انه يؤيد فكرة افلاطون من حيث ان وجود مادة العالم (الكون) قبل وجود العالم نفسه، وان في فكرة خلق النفس، يعود فيلون الى فكرة افلاطون في محاوراته، لكن يميز وجود نوعين من النفوس هما النفس العاقلة و النفس غير العاقلة.

اما فلاسفة اليهود فكانوا يصفون اللغوس قديما "كلمة الله" لكن بعد امتزاج الفلسفة الاغريقية بالديانة اليهودية تغير المصطلح الى "العقل الالهي" ويصفونها بانها العقل المدبرة او المسيرة للكون ومصدر الشرائع والنبوءات.

ان هدف فيلون من محاولة التوفيق بين العقل والوحي، تمثلت في ان فيلون حاول انقاذ اليهودية من قصص والاساطير التي كانت موجود في الديانات الوثنية البابلية و اليونانية<sup>2</sup>.

### الفلسفة المسيحية:

ان موقف من الفلسفة بحيث جاءت معارضة لليهودية وكذلك لليونانية ظن التي تطلب الحكمة الا من خلال المعرفة العلمية الصحيحة، وعارضت اليهودية من خلال مسالة الله، عرفت المسيحية انها تمثل الحقيقة الكاملة من خلال الايمان بفكرة تعدد المذاهب، المتعارضة لان كل مذهب يحتوي على جزء من الحقيقة وقد وردت هذه المشكلة في الفلسفة اليهودية، كيف للفلاسفة من بلوغ الحقيقة بالرغم من عدم بلوغ المسيحية؟ قال فيلون اليهودي بحل لهذا السؤال بان كل من اليهودية والتوراة سابقتان على المذاهب الفلسفية، وان اليونانيون قد اخذوا تلك الفكرة وحرفوها من خلال تقسيمها الحقيقة الى مذاهب متضاربة ن ولكن هذا الحل يعد حل مزيف.

تميزت الفلسفة المسيحية بموقف حول الدين والفلسفة علا غرار الفلسفات الاخرى، فقد رفضت في البداية علاقة الدين بالفلسفة، ولكن هذا التعارض في الاخير ادى الى وجود علاقة بينهما

<sup>1</sup> يوحنا بيداويد: الحوار المتمدن-العدد: 3029 - 2010

<sup>2</sup> عامر هادي الذرب، إشكالية التوحيد عند اليهود، شبكة البصرة، 2012

فهي تجمع على ان تكمل الايمان عن طريق العقل ، او ان تكمل العقل عن طريق الايمان ، وهذا ما يتضح من خلال العبارة المشهورة في المسيحية (أو من لأتعمل) ، ففي البداية رفض العقلايون العلاقة من خلال ان الفلسفة تقوم على العقلي ، والدين يقوم على اللاعقلي، ولذا من المستحيل الجمع بين ما هو عقلي ولا عقلي .

لان كل منهما ميدانه الخاص ن ورفضوا بذلك وجود فلسفة او دين مسيحي من بينهم فيورباخ ، وذلك لأن المسيحية في اعماقها تشير الى ان الفلسفة تقوم على العقل الى جانب النقل ، وهذا ما يجعل منها مستحيلة الى غاية ان جاء القديس اوغستين ، واعترف بوجود فلسفة مسيحية ولكنه لم يعترف بان الفلسفة هيا الوحي ن باعتبار ان اوغستين يفصل بين ملكة النقل و ملكة العقل ، "ان الفلسفة المسيحية هي العقل في محاولته فهم تعاليم المسيحية"<sup>1</sup> ، بمعنى ان العقائد الاصلية الاولى اتت بها المسيحية وعلى العقل ان يتعرف على هذه العقائد والحقائق الايمانية ، وان يقوم على تحويل هذه الحقائق الى حقائق يقينية ، معقولة من خلال قوله : "و من اجل ان اتعمل فالإيمان اولا ، ثم يأتي العقل بعد ذلك فيحل الشيء من حقيقة ايمانه الى حقيقة برهانية"<sup>2</sup> ، من هنا يعتبر اوغستين ان المهمة الحقيقية للفلسفة تكمن من خلال انها تبحث من اجل الايمان ، وتتعمل لتعتقد وقد اخذ توما الاكويبي بعلاقة الفلسفة والدين (العقل والنقل) ، برأي مخالف وهو انه يبدأ بالعقل لينتهي الى الايمان ، فقد كان عكس تيار ما تدعو اليه المسيحية ، كذلك نجد انسلم من خلال كتابه الايمان الذي ينشد التعقل ، فهو ضد فكرة نتعمل من اجل ان نؤمن ، بل نؤمن لكي نتعمل بمعنى اخر ان حقيقة الايمان لا تظهر من خلال العقل ، فالإيمان هو الذي يظهر الحقيقة للعقل ، فالملاحظ ان معظم الفلاسفة المسيحيين يقدمون الايمان على العقل ، ولكن ليس هناك رفض للدين او تعارض بينهما وانما هناك اسبقية بين كل واحد منهما .

عاج القديس اوغستين هذه الاشكالية (العقل والنقل) ، في العصر الوسيط بحيث يرى اوغستين ان العلاقة بين العقل والنقل اي بين العلم والدين يتلخص في نقاط اساسية :

<sup>1</sup> عبد الرحمان بدوي : فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط2، 1969، ص 23.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 32.

ان العقل يسبق الايمان للتعقل ، وذلك لان العقل يستطيع ان يبين قيمة تلك الحقائق الدينية ، وذلك من ناحية الاعتقادية ، وحين نعود الى اسبقية الايمان على العقل ، باعتبار انه يجب ان يتقدم العقل على الايمان من اجل تعقله .

لابد للإنسان ان يرتفع عن مرتبة الايمان الساذج الى درجة التعقل "فالعقل في تلك المرحلة كان يعتبر المثل الاعلى في الوضوح والتناسق بحيث كان يطلق عليه باسم الفلسفة اليونانية ، وذلك تعتبر خطوة الانتقال من الايمان الى العقل هو الاتصال بتلك الفلسفة"<sup>1</sup> ولذا لما كان الحق لا يضاد الحق اعتبر كل من الفلسفة والدين شيئا واحدا ، من خلال تقاسمها لميدان الموجود ، فكل من العقل والايمان يشكلان نظاما واحدا ، يضمن فيه كل واحد منهما امن الاخر .

### الفلسفة الاسلامية:

فقد جاءت الفلسفة الاسلامية من المؤيدين لفكرة التوفيق بين العقل والنقل ( الحكمة والشريعة ) ، وظهر هذا الموقف بالضبط في التأويل من خلال تأويل النصوص الشرعية ، جاء أبو الوليد بعد ما حدث للفلسفة على يد الغزالي حاول النهوض بأعباء حل الإشكالية العالقة في الفكر الإسلامي (العقل والنقل) فخصص كتابه (فصل المقال) لهذه القضية العويصة، وهو بذلك يعد أول فيلسوف مسلم يعالج هذه الإشكالية.

يذهب ابن رشد الى ان الفاظ الشرع ، وظواهر نصوصه ما يشهد للتأويل في كل موطن يحتاج التوفيق بين الحكمة والشريعة، "انه ما من منطوق به في الشرع ، مخالف بظاهره لما ادى اليه البرهان ، الا اذا اعتبر وتصفحت سائر اجزائه، وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل"<sup>2</sup>

إن النظر في الفلسفة يدعوا الى النظر في ، الموجودات ، او المصنوعات فإنها تدل على صانعها وكذلك للشرع قد دعا الى النظر في الموجودات ، وهذا يدل على ان الشرع يدعوا الى النظر في

<sup>1</sup> ايميل بوترو: العلم والدين ، ص 15

<sup>2</sup> ابو الوليد بن رشد :فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال ، دار المعارف . القاهرة :ط 3

الموجودات عن طريق العقل ، اي التأمل العقلي لقوله تعالى "فاعتبروا يا اولي الابصار"<sup>1</sup> ، بمعنى هذا النص القرآني فيه دعوة الى الاستعمال العقلي ، او العقلي والشرعي معا.

وقوله تعالى "أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء"<sup>2</sup> ، هنا يدعو الى التأمل في جميع الموجودات على الارض ، وقوله تعالى "افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت"<sup>3</sup> ، يرى ابن رشد بضرورة النظر فالشرع اوجب النظر بالعقل في الموجودات في موجودات الخالق بقياس عقلي ، ولكن التأمل في الموجودات والخالق عن طريق البرهان لا بد من معرفة القياسات هناك انواع مختلفة عن بعضها ، من بينها القياس الجدلي ، الخطابي ، المغالطي ، أي على المؤمن بالشرع ان يعرف كل هذه الاشياء كما ان نتأكد من المقاييس العقلية ، " نجد ان القدامى في كتبهم ، فما كان صوابا قبلناه وما كان خطأ وليس بصواب نهنا عليه"<sup>4</sup>.

يبرز ابن رشد علاقة الحكمة بالشرعية بحيث يقول "ان كانت هذه الشريعة حقا ، وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة الحق ، فان معشر المسلمين نعلم على القطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع"<sup>5</sup> ، ومع العلم ان الحق لا يضاد الحق بل يوافق ويشهد له.

الحكمة في نظر الفلسفة الاسلامية هي الاخت الرضية وصاحبة الحكمة ، فالحكمة هي صاحبة الشريعة والاخت الرضية لها .

لكن ابن رشد الذي عرف الفلسفة تعريفا من زاوية كلامية لا يريد أن تبقى معزولة خصوصا أن ابن رشد يرمي إلى اعتبار الفلسفة من المعارف التي أكد الشرع عليها، بل ربما أهمها لذلك فإنه يرى

<sup>1</sup> سورة الحشر 59

<sup>2</sup> سورة الاعراف 175

<sup>3</sup> سورة الغاشية 18

<sup>4</sup> ابو الوليد بن رشد : فصل المقال ، ص 28

<sup>5</sup> ابو الوليد بن رشد: فصل المقال ، ص 3

أن الفلسفة كذلك تفحص عن كل ما جاء به الشرع. يقول ابن رشد في ذلك "والفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع، فإن أدركته مستوى الإدراك، وكل ذلك أتم في المعرفة"<sup>1</sup> بيد أن الفلسفة لا تدرك كل شيء، وعلى العكس من ذلك فالشريعة تحيط بكل شيء يقول: "وإن لم تدركه اعلم بقصور العقل الإنساني عنه وأن يدركه الشرع فقط."<sup>2</sup>

### 3/ العصر الحديث:

اشتهر هذا العصر بشوارة على الكنيسة بحيث بدأت الامور تتغير ، وبدأ تراجع الخطاب الديني وسيطرة الكنيسة ، بعدما كان في العصر الوسيط هناك انفتاح للدين على الفلسفة والعلاقة بينهما توافقية، اصبح الامر في العصر الحديث مغاير لما كان في العصر الوسيط ، وسوف نتطرق الى نماذج من فلاسفة هذا العصر للتوضيح اكثر

### سبينوزا :

يبرز سبينوزا سيطرة العقل وتراجع الدين من خلال ما تطرق اليه في مسألة الله وخاصة العلاقة بين الايمان والعقل .

ارجع سبينوزا طبيعة الله الى النظر العقلي لان الكتاب المقدس في رايه لم ينكر فيما يتعلق بطبيعة الله وتحمله ورعايته لكل الاشياء وهو ينكر ان الكتاب قد ذكر ذلك ،ومن اجل تحديد لمفهوم الله قام سبينوزا بالعودة الى المنهج الديكارتي وتطبيقه "ان لا اتلقى على الاطلاق شيئا على انه حق، مالم اتبين بالبدهة انه كذلك بمعنى ان ابذل جهدي في اجتناب التعجل وعدم الشبث بالأحكام السابقة ، ولا ادخل في احكامي الا ما يتمثل لعقلي في وضوح وتميز"<sup>3</sup>، من خلال تطبيق سبينوزا المنهج الشكي الديكارتي توصل بان الافكار التي يقوم عليها الدين هي غير واضحة ، وبالتالي فإنها تحتاج الى فحص عقلي ويعتبر الصفات التي تعطيها الاديان لله تخلق هوة بين الله والعالم

<sup>1</sup> ابن رشد، تهافت التهافت، ص 758/2.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 758

<sup>3</sup> أمين عثمان: ديكارت، مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة، 1946، ط 2 ص 72.

باعتبارها صفات مادية بحيث يقول، "لأن في إمكاننا ان نشك في كل شيء طالما ليست لدينا عن الله فكرة واضحة ومتميزة"<sup>1</sup>.

وهذا معناه ان طبيعة الله تتعارض مع التصور الديني، لأنه عندما نجعل من الطبيعة والله شيئاً واحداً، فان هذا الأمر يلغي حاجتنا في ان يكون العالم بحاجة الى قوى خارجية اعلى منه تحكمه.

أما بالنسبة فيما يتعلق بالإيمان والعقل فهو يقر بان لا بد لنا من التأكد من ان المعتقدات التي يحملها الانسان معتقدات عقلية ، فالإنسان لا يرضى بان تكون هناك ممارسات تلحق الاذى وخاصة اذا كانت غير صادرة من الدافع العقلاني "باعتبار ان الممارسات التي تنتج عن المعتقدات الدينية لها تأثير على حياتنا ، ولا بد من رفضها اذا لم تكن عقلانية"<sup>2</sup>.

من خلال هذا نستنتج بأن العلاقة بالإيمان والعقل. بحيث اعطى سبينوزا اهتماما كبيرا وقد جعل كل المقدسات خاضعة لسلطة العقل وهذا ما نلاحظه في دراسته للدين والعقائد، وفي الكتب المقدسة كلها اخضاعها الى سلطة العقل ، وكان في كل مرة ينتهي الى العقل كمرجعية اساسية ، وحتى في تفسير النصوص الدينية بالرغم من انه كان يوهنما بانه يعود الى تفسير الكتاب الا انه كان يرجع في كل مرة الى العقل ، وعندما اصبحت السلطة مخولة للعقل اصبح له الحق في ان يحدد ما يجب من الايمان وما لا يجب.

باعتبار ان الايمان خرافة لا تتوافق مع العقل ، ان من خلال تحديد علاقة الفلسفة بالدين تبين أن سبينوزا يشك في صحة الكتاب المقدس ، فهو لم يكن مقتنعا بصحة ان تكون فكرة الحقيقة فكرة مزدوجة ، بحيث جسد شرعية الفلسفة على الدين من خلال الفكر والسلطة ، بحيث تبين من سبينوزا ان مشروع الحقيقة الحقيقي الفلسفي يكمن في التفسير العقلي للظاهرة الدينية ، وحتى وان كانت منتسبة الى الايمان بحيث يقول:

<sup>1</sup>سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم حسن حنفي، مراجعة زكرياء، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2005 ص186.

<sup>2</sup> خضر كاب: الدين عند سبينوزا ،دكتور منشور شباني، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية، المجلد 37 العدد 3، 2005 .

"إن الإيمان هو أن ننسب الى الله بالفكر خصائص تؤدي إلى الجهل بها إلى ضياع الطاعة، على حين أن وجود الطاعة يتتبع وجود هذه الخصائص بالضرورة"<sup>1</sup>.

إن تعريف الإيمان الذي اقر به سبينوزا هو تعريف عقلي يعارض كل تعريف ينطلق من أسس دينية.

### كانط:

بعدها تطرقنا إلى رأي سبينوزا في العلاقة بين الدين والفلسفة والذي من خلال محاولته التوفيق بين المنهج الشكي الديكارتي مع الاسس التي يقوم عليها الدين، فحاول تبين كيف انه الدين لا يتناقض مع العقل ، والنتائج التي توصل اليها فانه بذلك قد فتح الطريق والابواب امام كانط ، ليكون هو بذلك هو المؤسس الحقيقي والفعلي لفلسفة الدين ، والتي سوف نتطرق الى عنصر مهم يتمثل في علاقة الدين والعقل (الفلسفة).

من خلال علاقة الدين بالعقل قام كانط بإنكار اللاهوت النظري ، "كما انكر ان يكون الدين قائم على العقل"<sup>2</sup>، وهذا يدل على بان كانط جعل من الدين انه مجرد إيمان اخلاقي وهذه الفكرة اثارت الكثير من النقد والاحتجاج على رأي كانط وخاصة من طرف رجال الدين ، وقد نشر كانط كتابه (الدين في حدود العقل الخالص) ، كما انه رفض وجود الله باعتبار ان كتابه نقد العقل ليس دليل كافي على اثبات وجوده.

لقد ربط القصد بالجمال ويعتقد بان الجمال يكشف عن تناسق ووحدة في البناء ، من خلال دور العقل في تنسيق وتصميم الكون ، فالطبيعة تلعب الدور في التناسق والوحدة ، ولكن هذا الجمال والتناسق ليس دليلا قاطعا على وجود الله ، وينبذ كل من يتبنى هذه الفكرة في اثبات وجود الله .

<sup>1</sup> سبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسة ، مصدر سابق ص 234\_235.

<sup>2</sup> ول ديوارنت : قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي ، ترجمة الدكتور فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت ط6، 1988، ص 352.

أما بالنسبة الى الرسالة الدينية فكانت فهي تعتبر اهم واعظم انتاج بالنسبة له بحيث يقول "ان الدين لا يجوز ان يقوم على اساس منطق العقل والنظري ، ويجب ان يقوم على العقل العملي للشعور الاخلاقي"<sup>1</sup>.

إن ما يقصده كانط من خلال قوله ان الكتب المقدسة وما تتضمنه ، لابد له ان يخضع للقيمة الاخلاقية، بمعنى ان يحكم عليه بما له من قيمة اخلاقية ، وان قيمة الكنيسة والمعتقد الديني تكون من خلال انها تساعد الانسان على التطور الأخلاقي، كما اشار الى نقطة مهمة بحيث يرى ان العقائد والطقوس الشكلية ليست فعلية وتعلق بها الناس وقاموا بتفضيلها على الأخلاق، كما جعلوا منها تقاس بها الفضيلة فإن هذا الامر يدل على انتهاء الدين.

بحيث يرى كانط "إن الكنيسة الحقيقة تتشكل من مجموعة من الناس يجمع ويوحد بينهم القانون الاخلاقي المشترك"<sup>2</sup>.

وهذه الفكرة قامت المسيحية بتجسيدها والعمل على تحقيقها، ولقد اسست المسيحية الكنيسة كان هدفها هو القضاء على الطقوس الشكلية التي ينتهجها رجال الدين وعلى ثقافتهم. كما يوضح أن العقائد الدينية عادت وقد طغت على الحياة الفاضلة ، وكان الناس بدل من ان يرتبطوا برباط الدين ، ذهبوا إلى اعتناق مذاهب اخرى، بحيث يسترضي فيها الانسان عن طريق النفاق ، على اساس في رأيهم ان الله حاكم يمكن الوصول إلى رضائته عن طريق النفاق، ولكن هذه الامور لا يمكن لها ان تؤيد الدين وتدل عليه فمن غير المعقول ان يعتمد على اقوال من يؤيد تلك المعجزات.

يقر كانط بان الامور التي تؤدي الى الانحراف عن الدين في نهاية المطاف تبلغ درجة الحضيض "عندما تصبح الكنيسة اداة طبيعية في يد حكومة رجعية"<sup>1</sup>، ومن هنا يصبح رجال الدين الذين يفضي عليهم واجبهم عن طريق تخفيف ويلات الانسانية.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 355

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 256

ما نستطيع قوله هو أن كانط درس الدين في نطاق مشروعه الأخلاقي بمعنى ان تكون مؤسسة على الواجب فقط "إن الأخلاق لا تحتاج أبدا الى فيما يتعلق بذاتها، الى الدين بل بفضل العقل المحض العملي هي متكيفة بذاتها"<sup>2</sup>.

ما نخلص إليه في الأخير بعد تطرقنا إلى مشكلة الدين والفلسفة في مختلف العصور مع مختلف الفلاسفة أن الدين والفلسفة على طول المراحل التي سبقت شهدت تطور وتغير في كل مرحلة بحيث إن المرحلة الأولى اليونانية وقع تعارض بين الدين والفلسفة من خلال أن الفلسفة دخلت في صراع مع الديانات الشعبية وهذا نتج عنه خروج الفلسفة عن ساحة الدين واتخذت موقفا معاديا للديانات إتجاه الديانات الشعبية، أما بالنسبة لمرحلة العصور الوسطى نجد أن الفلسفة لم تكن مستقلة عن الدين بحيث إرتبطت الفلسفة بالدين، ولكن بعدها ظهر تعارض بينهما وهذا راجع إلى أن العقل إنتقل بذاته خاصة في عصر التنوير، وفي عصر الحديث الذي شهد فيه تراجع الدين وسيطرة العقل (الكنيسة) على الخطاب الديني.

لقد كانت هذه الخلفية التاريخية لإشكالية الفلسفة والدين منذ القديم كما لاحظنا منذ العصر الاغريقي ، إلى غاية العصر الحديث فكانت في كل مرة تتغير العلاقة بين اشكالية الدين والفلسفة عبر التغير التاريخي ، والان سوف نتطرق الى نظرة مغايرة لإشكالية الدين والفلسفة لدى فيلسوف اخر وهو

**هيجل** : يعتبر هيجل بأن مضمون الدين هو نفسه مضمون الفلسفة لا فرق بينهما ، فالشعور الديني في الحقيقة هو يعبر عن المعرفة التي نجدها لدى الروح في ذاته ، فهيجل ينظر إلى الدين على أنه فكر ، وهو من أهم المراحل الضرورية والمهمة في تطور الوعي الانساني ، لأن هيجل لا يعتبر أن الدين خالي المضمون العقلي .

<sup>1</sup> ايمانويل كانط : الدين في حدود مجرد العقل، ترجمة فتحى المسكيني، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، 2012، ص 48\_49.

<sup>2</sup> ول دوارنت : قصة الفلسفة ، ص 357.

كما أن الوعي الديني يمكن إدراك موضوعاته ليس عن طريق الحس أو عن طريق العقل الخالص ، وإنما يتم ادراكها عن طريق المزج بين الطرفين ، (العقل الخالص والحس) ، والذي اصطلح عليه هيجل بالتمثيل والذي يعبر عن الحقيقة المطلقة عن طريق إستخدام الرموز والتصورات، ومعنى هذا إن الديالكتيك العام للدين ، هو بمثابة كشف عن الروح بحيث تتجلى الروح من خلاله بذاتها عبر مجموعة التصورات ، بالرغم من كونه عملية عقلية ، كما ان هذه الرموز والتصورات لا تكون عن طريق الحس من أجل التعبير عن فكر خالص وحقيقة مجردة لا بد من إستخدام صور مجازية تحمل دلالة كلية من أجل الوصول الى ما تريد ، ومادام هناك تمثيل حسي فلا إشكال في ان يكون الدين ذا صبغة فينومينولوجية، من هذا المنطلق يجعل هيجل موضوع الفلسفة هو نفسه موضوع الدين: "إن الفلسفة والدين موضوعا مشتركا ، واعني به الحق على نحو مطلق في ذاته ولذاته ، والانسان من حيث علاقته به ، وقد أفصح الناس في دياناتهم عن وعيهم بالوجود الاسمي والى هاذا الحد تكون الديانات هي الانجاز الاسمي للعقل"<sup>1 2</sup>.

هنا هيجل يعتبر أن كل من الفلسفة والدين لا يختلفان في المضمون العقلي، لكل منهما طريقة في التعبير هي التي تختلف بينهما ، كما ان هيجل كذلك يقر بأن الدين حتى في مضمونه يحمل صبغة عقلية لأنه لا يمكننا أن نتصور الدين بدون فكر ، باعتبار أن الوعي الديني كذلك في صميمه وعي عقلي ، وقد تجلى ذلك من خلال: أولا الوعي التخيلي: من خلال الطريقة التي يعي بها الانسان الله بحيث يحاول الانسان أن يشكل صورة موضوعية ، "بمعنى أن الانسان يرى بان الله يعتبر موجود آخر غير ذاته"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> موسى بخضرة: مؤمنون بلا حدود. فينومينولوجية الدين .قسم العلوم الانسانية والفلسفة ،مؤسسة دراسات وابحاث ص2.

<sup>2</sup> هيجل تاريخ الفلسفة: ترجمة اما عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيجلية ، المجلد الثالث ، مكتبة مدبولي ، ط1 1998 ، ص 302.

<sup>3</sup> موسى بخضرة: مؤمنون بلا حدود، فينومينولوجية الدين ،ص 2

ثانيا الوعي من اجل ممارسة العبادة من اجل ان يرتفع الانسان ، إلى الله ان هاتين الصفتين يعبران عن الوعي الديني والتي تلازمه في الديانات وفي مختلف العصور .

وقد تطرق هيغل إلى نقطة أساسية في معرفة الله او بمعنى آخر إدراك ووعي العلاقة بين الله والانسان ، بحيث في الاول لابد أن يظهر الله ووعيه لذاته ، وثانيا تكون من خلال إتصاله بالإنسان ، هنا ميز هيغل بين أربعة أشكال رئيسية من أجل معرفة الله والوعي به والتي تتمثل فيما يلي : المعرفة المباشرة ، الشعور ، التمثيل ، الفكر ، والمعرفة بالله تكون عن طريق الايمان بمصدر خارجي من خلال اعتراف الروح (الروح الانسانية ليست الروح المطلق).

"وهذا هو الاساس التجريبي للوعي الديني ، والمتمثل بالمعرفة الحسية والشعور ، أي كل ما هو ملموس ويمكن ادراكه ادراكا مباشرا بدون اي واسطة"<sup>1</sup> ، لأن الاساس التأملي للوعي الديني يتمثل بالفكر الذي من خلاله يعي الانسان وجوده بين العالم المتناهي واللامتناهي .

إذن فالتعريف العام للدين وفكرته الشاملة ، هو ان الدين عبارة عن تجل للمطلق في اطار الفكر التصوري ، وكل دين يتضمن بالضرورة ثلاث لحظات: تقابل الوعي وهي لحظة الكلي وهي (الله) ، لحظة الجزئي (روح القدس) ، لحظة الفردي (الانسان ، الكنيسة)<sup>2</sup> ، فالدين المطلق عبر عنه هيغل عبر عنه بالدين المسيحي الذي يسميه فينومولوجيا الروح ومعناها الدين الظاهر لكل وعي ، وقام من خلاله هيغل بتفسير للعقائد المسيحية تفسيرا عقلانيا منطقيا .

وقد أكد هيغل في فينومولوجيا الروح بان الروح المطلق هو وحدة الروح الذاتي مع الروح الموضوعي ، فإن الله يكون وحدة الفكر والواقع "الماهية الازليه والمضاهية لنفسها والبسيطة... التي لها دلالة الروح المطلق"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حنفي حسن : تطور الفكر الديني الغربي: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت 2004 ، ص231

<sup>2</sup> هيغل فينومولوجيا الروح : ترجمة ناجب العولني ، مركز دار الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت 2006 ، ص864

<sup>3</sup> موسى بخضرة: مؤمنون بلا حدود. فينومولوجية الدين، ص 5

فعبادة الله في المنظور الهيجلي يجب أن تخضع لأحكام العقل وقوانينه ، لأن كل من الله والعقل يتجاوزان عالم الحس ، لأنها لا تعتبر مسألة عاطفية تنشأ وتتحرك وفقاً للإحساس ، إنما هي مسألة عقلية تعبر عن مستوى عقلي ، من هنا نخلص ان الدين والفلسفة يشتركان في موضوع واحد " الدين يشترك مع الفلسفة في شيء جوهري وهو الله، الروح ، المطلق، واسماه المشترك هو معرفة ماهية العالم ومعرفة الحقيقة ، ومعرفة الفكرة المطلقة " <sup>1</sup> ، كما يقر بأن العلاقة بين الدين والفلسفة تتغير عبر التاريخ ، بحيث تكون العلاقة في بدايتها سيادة الدين على الفلسفة ، وبالرغم من ذلك هذا لا يخلق تعارض وخاصة في هذه المرحلة .

---

<sup>1</sup> هيجل :تاريخ الفلسفة ، ص 296.

## الفصل الثاني :



وليم جيمس ومنهجه البراغماتي

العناصر :

جيمس ومنهجه البراغماتي



منطلقات المنهج البراغماتي



## الفصل الثاني: وليم جيمس ومنهجه البراغماتي

أولا: وليم جيمس: 1842-1910 William James

عاش جيمس في القرن التاسع عشر وأدرك شطر من القرن العشرين 1842-1910 فقد كان معاصرا لبعض رجال لايزالون على قيد الحياة، وهو من أشهر مفكري أمريكا على الإطلاق، وأحد قادة الفكر الحديث في الفلسفة وعلم النفس، بل من المجددين فيها كذلك وتدين له نظرية الذرائع Pragmatisme بجياتها<sup>1</sup> تربي في بيئة دينية قوية، فقد كان أبوه رجلا متدينا تلقى علومه في مدارس دينية، وتأهل ليكون قسيس، ولم يمنعه من المساهمة في أعمال الكنيسة إلا عجزه الجسمي، فلزم البيت وكون لأبنائه تلك البيئة الدينية التي نجد أثرها واضحا فيهم جميعا، ولكنه كان أكثر ظهورا في ابنه وليم جيمس لأنه لازم البيت في أثناء مدة مرضه مدة طويلة كان يشغلها بالقراءة، ولقد اتصل من غير شك بكثير من كتب أبيه الدينية<sup>2</sup>.

يمكن تقسيم حياة جيمس إلى مرحلتين متميزتين: مرحلة التهيؤ والاستعداد لما يتبع ذلك من قلق نفس، واضطراب فكري وتردد، ومرحلة الاستقرار والحيوية والإنتاج، شغلت المرحلة الأولى الجزء الأكبر من حياته، إذ لم يفرغ من مرحلة التعليم الأكاديمي إلا وهو قريب من الثلاثين من عمره، ولم يتغلب على اضطرابه النفسي، ويشف من شكوكه وأوهامه إلا بعد أن جاوز الأربعين حاول جيمس إبان حياته أن يتعلم الفنون اليدوية، ولكنه ما لبث أن تركها لأنه لم يجد لها فسحة مع ميوله ورغباته، والتحق بمدرسة لورانس Laurance العلمية، فدرس هناك الكيمياء وفن التشريح وما يتعلق بهما من موضوعات، ثم درس الطب في كلية هارفارد Harverd الطبية، ولكنه قطع الدراسة وصاحب لويس أجاسيز Louise Agassiz في رحلة استكشافية إلى الأمازون، ولقد أفاد من تلك الصحبة كثيرا فهو الشخص الذي عرفه الفرق الشاسع بين العلماء النظريين والعلماء الذين يسرون على هذه الحياة العلمية الكاملة، ولما أصابه المرض في أثناء الرحلة رجع إلى وطنه وعاود الدراسة، ولكنه ما لبث أن قطعها ثانية وذهب إلى ألمانيا 1876 حيث ظل ثمانية عشر شهرا، كان في أثناءها شديد الاتصال بالفلسفة

<sup>1</sup> وليم جيمس : ارادة الاعتقاد، ترجمة ، دكتور محمد حب الله، دار احياء كتب العرب ، 1946، ص 8

<sup>2</sup> وليم جيمس : البراغماتية ص هـ

المعاصرة ويعلم النفس، وقد اتصل حينئذ بفلسفة رينو فيه ويحدثنا جيمس أن اتصاله بتلك الفلسفة وتديره فيها كان نقطة تحول في حياته وكان موجها له في حياته الفلسفية بل في حياته الشخصية كذلك<sup>1</sup>.

ولكن المرض الذي أصابه في رحلته السابقة كان لايزال يعاوده، فكانت تأتيه منه نوبات حادة عنيفة، وكان من جراء ذلك ضعيفا متبرما بالحياة، متشائما وقد بلغ به التشاؤم حدا جعله يفكر في الانتحار، ولعل الذي باعد وبين تنفيذ هذه الفكرة هو خارق من الخوارق أو شعور غامض بذلك العلاج الذي سيقدمه هو فيما بعد في بحثه عن قيمة الحياة ليعالج به مريد الانتحار نفسه، فيجيب إليه الحياة ثانية، ويجعله مستعدا لا يواجه نصيبه من الكفاح بقلب قوي وعزيمة صادقة، ولما عاد إلى وطنه وتخرج من جامعة تدرج ماجستير في الطب العام عام 1869، كان لايزال مريضا لذلك لم يستطع أن يبدأ حياته العملية وظل جيمس في بيت والده حتى عام 1872، ولكن لم يمنعه المرض من الاتصال بالحياة الفكرية المعاصرة وغيرها، وهنا يحدثنا جيمس لأن الذي خفف عنه ألمه النفسي الشديد وأزال كثيرا من أوهامه ووسواسه هو قراءة بحث رينو في حرة الإرادة وقراره الجازم بعد ذلك "أن أول عمل إيجابي يعمل المرء بالنسبة لحرة الإرادة هو أن يعتقد أنه حر الإرادة"، وكان هذا القرار كان الجرعة الأولى من الدواء الناجع، فأظهرت شيئا من حيوية جيمس ووجهته توجيهها جديدا فرفض كلا من الجبر العلمي والميتافيزيقيا الذي كان يعتقد أنه نتيجة لدراساته العلمية والفلسفية وأصبحت بحوثه كلها ملونة بذلك اللون الشخصي.

ولما خفت آلامه قليلا أختير مدرسا لعلم النفس في كلية هارفرد وظل مدرسا لتلك المادة 1872-1876 وعلى الرغم من أنه كان مبرزا في علم النفس، فقد كان متعب النفس ضيقها من دراسته ورغب في أن يدرس علم وظائف الأعضاء من ناحية سيكولوجية لا من الناحية التشريحية، واعتبر هذا خروجا عن علم النفس، واعتبره تحديا للعقلية الدينية التي كانت تتحكم في جامعات أمريكا كلها، ولم تخضع له تلك العقلية إلا بعد أن أبان أنها لا ضير على العقيدة من تلك الدراسة، وبذا أصبح علم النفس على يديه، علما يخضع للتجارب كسائر العلوم التجريبية بعد أن كان فلسفته نظرية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> وول ديوارنت : قصة الفلسفة ، ص 616.

<sup>2</sup> د: زكي نجيب محمود : من زاوية فلسفية ، ص 210.

ولم تفارقه آلامه النفسية، وبدل عنه ما كان يعاوده من تهيجات عصبية حتى تزوج وكان الزواج كان آخر جرعة لشفاؤه، فقد اختفت كل آلامه وامتلاك نفسه أملا في الحياة نشاطا وحماسا وقوة على العمل، وبدأ مرحلة ثانية من حياته: مرحلة الإنتاج والعمل وهنا ظهر ما كانت تكنه تلك النفس الثائرة المضطربة، فأخرج أولا كتابه الضخم في المبادئ علم النفس"، وكان كتابه هذا ابتكار في كثير من نواحي علم النفس، ولا يزال عمدة فيه حتى يومنا هذا ولقد أخضع فيه علم النفس لقواعد علم الحياة، واعتبر التفكير من آلات الكفاح في الحياة فهو وسيلة من وسائل الحياة العملية<sup>1</sup>

ولكن لم يكن جيمس هذا فحسب فلا تزال نفسه تواقا لموضوعات أكثر حيوية هي لها بطبيعته، فلم يتابع بحوثه النفسية ولم يعن كل العناية بمعامل التجارب التي أوجدها لأنه قد تبين له أن عمل لا يمكن أن يحسنه، وما باله يقيد نفسه بدائرة ضيقة داخل المعمل ما دام في مقدوره أن يكون طليقا، فترك معامل التجارب ولم يستقص بحوثه النفسية لأنها ضئيلة القيمة بالنسبة للبحوث الفلسفية والدينية" فهي ليست إلا مقدمة لها وهكذا استعملها جيمس فكأن شيئا كان يناديه من قرار نفسه، ويدفعه دفاعا عنيفا إلى الناحية الدينية فتوجه تلك الوجهة بميل طبيعي ورغبة نفسية، ولذا اتبع ولذا أحسن التتبع، توجه بكلمته نحو بحوث المتعلقة بوجود الله وبصفاته والمتعلقة بخلود النفس وبحرية الإرادة وبالجزر والمتعلقة بقيمة الحياة<sup>2</sup>

فلاحظ أولا أن البراهين الذهنية النظرية لا يمكن أن تشفى غلتنا في هذه الناحية فلا بد أن يبحث عنها في السائل التجريبية المتعلقة بها، فلنبحث عن الإله وصفاته في الأعمال الدينية وفي الشعور الديني ولنبحث عن إمكان الحياة النفس ثانيا في التجارب الروحية ولنبحث عن الجزر والاختيار في مضامينها في الحركات والحال الاعتقاد، التجأ جيمس فعلا إلى تلك النواحي المتعددة، راجيا الوصول إلى نتيجة فهو إذن كان باحثا عن نتائج لا مبرهنها على رأي سابق فوجد أن البحوث الروحية هي التي قامت بها جمعية البحوث النفسية في أمريكا وإنجلترا تؤدي إلى افتراض أن لنا قوة نفسية كامنة لا يعبر عنها الحس الظاهر ولا تأتيها معارفها عن طريق الحس الظاهر،

<sup>1</sup> وليم جيمس :بعض مشكلات فلسفية، ترجمة ،د محمد فتحي الشنطي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص 8\_11.

<sup>2</sup> وليم جيمس : ارادة الاعتقاد، ص 7\_8.

ولكن ماهي من أين تأتي معارفها عن طريق الحس الظاهر، وأنه ليس له معارف تجريبية يشرح بها طبيعة تلك النفس وطريق معرفتها.

وجد أن التجارب الدينية تؤيد القول بوجود الله ووجد أن له مكانا طبيعيا في نفوسنا، فلا تستريح النفس ولا يطمئن العقل حتى يصل إليه ووجد كذلك أنه قادر على كل شيء، ويمكننا أن نتصل به ونلجأ إليه في الشدائد فينقذنا مما ألم بنا، آمن بأن لنا حرية واختيار ولكن ليست الحرية إلا نوعا من انفكاك بعض الأعمال أو الأشياء عن بعض، يعني أن المستقبل ليس شيئا واحدا ضروريا، قد حدده الماضي بل هو ملم غامض لا يمكن استنتاجه من الماضي، ويمكن القول بأن العالم مصادفات، أي أمور ليس وجودها ضروريا وارتأى أن مثل هذه المصادفات في العالم لا تتنافى مع القول بوجود إله مدبر فتوجد المصادفات ولكن لا يبندها العالم من طريق العام الذي رسمه له الله.

ظهرت تلك الآراء كلها في محاضرات ألقيت فيما يقرب من عشر سنين 1893-1902 وجمعت كلها في أربعة كتب وهي: الإرادة الاعتقاد ومقالات أخرى في الفلسفة العامة" وهو الكتاب الذي أقدمه للقراء في جزأين "وخلود الإنسان" و"أحاديث لمدرسي علم النفس ولطلاب المثل العليا" و"تعدد التجارب الدينية".

وأخيرا وجهته هذه البحوث كلها وجهة أخرى، فحينما كان يحاضر في كاليفورنيا عن النظريات الفلسفية وعن نتائجها العلمية وذكر نظرية الذرائع والتي اشتهر بها أو التي اشتهرت بها بعد أن أصبح جيمس مركز المدرسة فلسفية جديدة في العالم الناطق بالغة الإنجليزية وكان أقوى أنصاره في أمريكا جون ديوي ومدرسته، وفي إنجلترا شيلر ولقد أراد أن يسلم ذلك الغرس الناشيء لمناصريه ليتحدوا لما ينبغي له وليشرح من مجهوده المضني، ولكنه لم يجد بدا من السفر إلى كلية مانشستر في أكسفورد، استجابة لدعوة جاءته لأنه ضمها تحديدا للمذهب الجديد، فحاضر وكرت محاضراته بالنجاح، ثم ظهرت في كتاب تحت عنوان العالم المتعدد<sup>1</sup>.

ولما عاد إلى وطنه اشتد به الضعف، غادر ثابتة للاستشفاء ولكن إذا مع القضاء فلا مناص منه، ولا يغني العلاج سنه فرجع إلى وطنه وجاءته المنية في بيته الريفي في أغسطس عام 1910.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> وليم جيمس : ارادة الاعتقاد ، ص 9\_11.

<sup>2</sup> فتحي الشنطي، وليم جيمس، مكتبة القاهرة الجديدة، مصر ص 21.

قد ترك جيمس مؤلفات نذكر منها ما يلي :

- 1- Quelques conderations sur la methode subjectivée: نشر هذا المقال في مجلة النقد الفلسفي الجزء الثاني من المجلد الثاني عشر السنة السادسة ص 407-413 يناير 1878، وقد نشرها فيما بعد الفصل الثاني عشر من "مقالات نموذجية".
- 2- Remarkon sepencers definition of mind corresponce: نشر هذا المقال في المجلة Speculative philosophy المجلد الثاني عشر: ص 1-18 يناير في سنة 1878، وقد نشر في بعد في كتاب جيمس Collected Essays: في الفصل الثامن وكما أعيد طبع أجزاءه منه في كتاب جيمس: أصول علم النفس الفصل الثالث عشر<sup>1</sup>.
- 3- Areve Atutomata: ينشر في المجلد الرابع من مجلة Mind العدد الثالث عشر، ص 1-22 وفي يناير 1879 أعيد طبع أجزاء منه في كتاب جيمس أصول علم النفس: "الجزء الأول، ص 134-249 .
- 4- The sentiment of rationality: مجلة Mind المجلد الرابع ص 317-346، في العام 1879، ولقد لخص هذا المقال في كتاب جيمس "أراد الإعتقاد" الفصل الثالث وأعيد طبعه كاملا في كتابه "مقالات مجموعة" الفصل العاشر .
- 5- Reflex Action and Theism: وقد أعيد طبع هذا المقال مع تعديلات طفيفة في كتاب جيمس "إرادة الاعتقاد" الفصل الرابع.
- 6- Rationality Activity and fith: Princetion Reviw. 11P. 58-66, July 1882 ونشر جزء منه فقط في إرادة الاعتقاد الفصل الثالث .
- 7- On some omissions of inter ospective psychology Mind 1, p1-26, January 1884: نشرت بعض أجزاء منه في كتاب جيمس، أصول علم النفس.
- 8- Absdutism and Empiricism, Mind 1V, P281, 2Aprile 18.: أعيد طبعه في كتاب جيمس "إرادة الاعتقاد" الفصل الخامس.

<sup>1</sup> ام كلثوم ابراهيم احمد: براغماتية وليم جيمس ، ص 31.

- On the function of cognition mind IV, P27-44,1885 9-
- The psychology of belief, mind IV, P321-352, 1889.: 10-  
 كتاب أصول علم النفس واضيفت إليه بعض الزيادات وحزمت من ملاحظة جيمس عن الروابط بين الإرادة  
 الاعتقاد.
- The rincipales of psychogy, N,Y1890. 11-
- Psycholgy, briefer course,N,Y1892. 12-
- The Knowing of thing together psychological review, P105-124, 13-  
 March1895:نشر بكامله في كتاب "مقالات مجموعة" وطبع جزء منه في كتاب "معنى الحقيقة".
- Is life worth living? Int, journal of Exhics, VLP1-24, oct, 1895. 14-
- The will to belive and other essays in popular pnilosophy, N.Y, 15-  
 and London, longman green and co, 1897.
- Pnilosophical conceptions and pratical resultats, the university 16-  
 enronicle, Berkeley, sept1898.: وهو خطاب القاه جيمس في اجتماع الاتحاد الفلسفي بجامعة  
 كاليفورنيا في أغسطس من عام 1898م، وقد نشر ماعدا بعض صفحات فقط، في المجلة الفلسفية J,of,PH  
 المجلد الأول ص 637-687 تحت عنوان المنهج البراغماتي، وقد نشر كاملا في مقالات مجموعة في الفصل الثامن  
 والعشرين.
- Talks to teachers on Psychology and students on some of life's 17-  
 ideal, Longman, green and so, 1899.
- The varieties of religious experience a study in human nature 18-  
 (Longman, Green, and co.1902.: وهو عبارة عن مجموعة محاضرات جي فورد والتي ألقاها  
 جيمس في جامعة انبره في سنة 1901-1902م.
- Pragmation: فصل كتبه وليم جيمس في قاموس بالدوين الفلسفي المجلد الثاني. 19-

- 20- Experience: وهو فصل كتبه جيمس في نفس القاموس الآنف الذكر.
- 21- Critical notice of personal idealism mind X 11, P93-97, 1903. : وهذا تعليق على المذهب الإنساني عند فيرديناد شيلز، نشر في مجلة The nation N.Y, P175-176, 3March 1904 وأعيد طبعه في كتاب بعد حذف مواطن في مقالات مجموعة "الفصل الثاني والثلاثين."
- 22- Does consciousness exist? J.Ph, P477-491, Ist September 1904.: وأعيد طبعه في كتاب جيمس التجربة الأصلية الفصل الأول.
- 23- A world of pure experience, J.Ph, P533-516-570, 20 september and 13 october 1904.: في الفصل الرابع من كتاب معنى الحقيقة.
- 24- The humanism and truth mind, P457-475, October 1904.
- 25- The thing and it is relations, J. Ph11 No2, p29-41.: جيمس "عالم متعدد" الملحق العاشر، وفي الفصل الثالث من كتاب التجربة الأصلية.
- 26- The experience of activity, Ps, Rev, P1-17, January 1905.: بعد حذف بعض مواطن في كتاب "عالم متعدد" ونشر بأكمله في "مقالات مجموعة."
- 27- The essence of humanism, J. Ph113-118, March1905.: كتاب "معنى الحقيقة" الفصل الخامس وفي كتاب "التجربة الأصلية" الفصل السابع.
- 28- How two minds can know one thing?, J. Ph. P176-181, 30 March 1905.: وأعيد طبعه في التجربة الأصلية الفصل الرابع.
- 29- Is radical empiricism solipsistic?, J.Ph, P235-238, 27 April 1905.: أعيد طبعه في "التجربة الأصلية" الفصل التاسع.
- 30- Humanism and truth once more mind, P190-198, April 1905.

- C. Papini and the pragmatism movement in Italy, J, Ph, P317- 31-  
 341, 21 june 1905.: "مجموعة مقالات" الفصل الرابع والثلاثين.
- Pragmatism conception of truth, J. Ph IV, P141-155, 1907.: 32-  
 طبعه في كتاب "البراغماتية" الفصل السادس.
- A defence of Pragmatism, popular Science monthly, P, 193-206, 33-  
 march 1907 and P, 351-364, April 1907.: "البراغماتية"  
 الفصلان الأول والثاني.
- Pragmatism: A new name for some old ways of thinking, Popular 34-  
 lectures on philosophy, N.Y and London, Longmans green and co  
 1907.: وهو يضم مجموعة محاضرات ألقيت في نوفمبر وديسمبر 1906 وفي يناير 1907.
- Controversy about truth, J, Ph, P286-290, 23 may 1907.: 35-  
 في "مقالات مجموعة" الفصل السادس والثلاثين.
- A world more about truth, J, Ph, 18 july 1907.: 36-  
 الحقيقة" الفصل السادس.
- Professor Partton on truth, J.Ph, P464, 15 Agust ( )1907. 37-

معنى براغماتية جيمس:

كان أول من أدخل هذا اللفظ إلى الفلسفة: "تشارلز بيرس في سنة 1878 ففي مقال بعنوان (كيف

نجعل أفكارنا واضحة) نشر في عدد من تلك السنة لمجلة **Populaire Science**

**Monthey**"<sup>1</sup>، بعد أن أرجع إلى عقائدنا أنها في الواقع قواعد للعمل والأداء، أننا لكي ننشئ معنى فكرة ما نحتاج إليه فقط هو تحديد أي سلوك تصلح لإنتاجه.

من أجل الوصول إلى درجة الوضوح في أفكارنا عن موضوع فإننا لا نحتاج إلى الآثار المترتبة عنه والتي

تكون ذات طابع عملي. "ولكي تبلغ الوضوح التام في أفكارنا عن موضوع ما فإننا لا نحتاج إلى اختيار ما

قد يترتب من آثار يمكن تصورها ذات طابع عملي أخذ تضمينها الشيء أو الموضوع وماهي الحلول الأنسب التي نتوقعها منه."<sup>2</sup>

فإدراكنا وتصورنا للمعاني الكلية لهذه الآثار والنتائج سواء كانت مباشرة أم بعيدة هو عندئذ بالنسبة لنا

هو كل تصور للموضوع أو الشيء ما دام هذا التصور له أهمية أو معنى إيجابي على الإطلاق، هنا يقر جيمس أنه

إذا استطعت إدراك وتصور المعاني سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، قد أدركت الموضوع واستطعنا تصور الشيء

لأنه في النهاية ذي أهمية إيجابية وهنا يتحقق مبدأ بيرس والذي نعني به مبدأ البراغماتية.

"ولقد ظل هذا المبدأ مهملاً تماماً زهاء عشرين عاماً ولم يحفل به أحد حتى قدر لي أن أبعثه من

مرقده وأخرجه ثانية إلى حيز الوجود حين قدمته في حديث ألقته أمام رابطة البروفيسور هوسيون الفلسفية

في جامعة كاليفورنيا وطبقته تطبيقاً خاص عن الدين"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> وليم جيمس : البراغماتية ، ص 75

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 76.

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، ص 77.

لقد تلقى هذا المذهب نجاحا كبيرا بعدما كن مهملا لمدة 20 عاما حين أخرجه وليام جيمس من مرقدته ثانية كما قال إلى حيز الوجود وأضاف عليه، وقم بنشره وتقديمه في الجامعات حتى استطاعت البراغماتية أن تنتشر في العالم وفي الأوساط الثقافية.

"وأصبح مذهب تشارلز بيريس وما أدخله عليه وليام جيمس من تغيرات وماً أضافه إليه جون ديوي من أشهر حركات هذا العصر"<sup>1</sup>، وهؤلاء الأعلام الثلاثة الذين قاموا بحمل الفلسفة البراغماتية على كواهلهم كان لكل واحد منهم لون يميزه عن الآخر، "وإن اتفقوا في أصلها الذي يقوم على معيار صدق الفكرة إنما يكون من خلال ما ينتج عنها من نتائج ملموسة"<sup>2</sup>. أصبحت الفلسفة البراغماتية من أشهر حركات هذا العصر وحتى وقتنا الحالي بفضل أعلامها بيرس، وجيمس وديوي فقد أضاف كل واحد منهم لون على البراغماتية والتي زادها قوة وأكثر انتشارا على غيرها من المذاهب الأخر.

قام جيمس بتقديم فكرة وتصور حول البراغماتية، والذي سوف يطبقها على مشكلات عصره ولكن لن تكون بنفس الطريقة القديمة وإنما تكون ترتبط بالذهن و بالحقيقة.

عند انتشار البراغماتية في القرن 20 حيث هناك من قابلها بالرفض وهناك من قبلها ولك ن ما يلاحظ على البراغماتية أنها انفتحت على العديد من العلوم، من بينها فلسفة العلم التي طبقت فيها البراغماتية: قد استخدم مبدأ البراغماتية بشكل بين وقد أفلح في استخدامه في محاضراته عن فلسفة العلم لقد كتب: أوستولا كيومي لينج إلى جيمس قائلاً: "كل الحقائق تؤثر في مزاولتنا، وهذا التأثير هو معناها بالنسبة لنا، لقد اعتدت أن أوجه لفصولي أسئلة من هذا القبيل: ما الذي يحدث في العالم من اختلاف أو فرق... فإذا لم أجد شيئاً من الممكن أن يصبح مختلف، فالبديل عندئذ لا معنى له من حيث النتائج"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف ، مصر ، القاهرة 1969 ، ص 417\_418.

<sup>2</sup> د: مصطفى النشار ، مدخل جديد الى الفلسفة ، دار قباء للطباعة و للنشر والتوزيع ، القاهرة ط4، 1998ص

163\_164.

<sup>3</sup> وليم جيمس : البراغماتية ، ص 67.

المعنى هنا هو ما يحدث الفرق على مستوى عملية بمعنى إذا كان هذا العمل لا يؤدي إلى النتائج مختلفة فلا فائدة منه بمعنى أن الوقع تغير لا بد أن تكون نتائجه نافعة وصحيحة وإذا كانت نافعة سوف تؤدي إلى تغيير السلوك، وهذا ما يقاس عليه في الفلسفة البراغماتية وهنا تظهر قيمة الفلسفة بالنسبة لويليام جيمس، هي التي تترك نتائج سواء كانت ملموسة أو محسوسة .

"ولا يوجد شيء على الاطلاق في الطريقة البراغماتية لقد كان سقراط بارعا حاذقا فيها، واستعملها ارسطو تنسقا وإتزامنا، ولقد أسهم كل من لوك وبراكلي، وهيوم بقسط خطير ذي شأن في خدمة الحقيقة بواسطة البراغماتية"<sup>1</sup>، بيد أن هؤلاء الرائدین السابقين للبراغماتية استخدموها بعضا لا كلا واستعملوها أجزاء وكسر شظايا، لقد كانوا ما هدين فقط، لا يوجد أي تطور في طريقة البراغماتية، لذلك اعترف جيمس بجدة كل من سقراط وأرسطو ولوك وهيوم لأنهم قاموا بجعل البراغماتية وسيط من أجل خدمة الحقيقة ولكن ليست بنفس الدرجة التي هي عليها اليوم.

إن البراغماتية تمثل الاتجاه التجريبي في الفلسفة، فهي تبعد عن الفكر النظري و تقبل بالاكْتفاء ولا تسعى إلى مجال المغالطات والجدال، كما لا تعتمد المبادئ الثابتة والبحث في الأصول، فالبراغماتية فهي فضاء واسع غير محدود لا تنحصر لا في المذهب التجريبي ولا المذهب العقلي، "وهي في نفس الوقت لا تضاهي أو تناصر أو تمثل أو تنوب عن أية نتائج خاصة أنها مجرد طريقة فحسب مجرد منهج... بيد ان انتصار العلم... يعني تغيرا هائلا فيما سبق أن اسميه في محاضرتي السابقة بمزاج الفلسفة"<sup>2</sup>

بمعنى انه يمكن للفلسفة البراغماتية أن تكون مذهب تجريبي أو عقلي، لكن من خلال صيغة خاصة بها وهذا ما يسمى بمزاج الفلسفة، وسوف تقوم علاقة وثيقة بين العلم والميتافيزيقيا فتقتربان من بعضهما البعض وبل يعملان مع بعضهما، هنا بداية اتحاد العلم والميتافيزيقيا من أجل العمل مع بعض، فالميتافيزيقيا سابقا ارتبطت ببعض الكلمات من أجل حل مشكلات، الكون أما البراغماتية فهي على العكس من ذلك، فهي تعني استخراج قيمتها النقدية الفورية من خلال إظهار العمل في نطاق مجرى الخبرة الشخصية.

<sup>1</sup> وليم جيمس : البراغماتية، ص 70.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 72.

من هنا تصبح النظريات عبارة عن عمل لبيت أدوات ساكنة وجامدة بل تدعو إلى الحركة من أجل تلبية الحاجات، وبالتالي البراغماتية هي كسر الجمود في الأفكار الثابتة والقديمة بل هي منهج يجعل أفكار الإنسان تتماشى مع الحياة.

ثانيا: المنهج البراغماتي لوليم جيمس:

كانت مقالة وليم جيمس عام 1878 بعنوان العقل الحيواني الإنساني، في مجلة الفلسفة التأملية وقد نشر كذلك في مجلة الذهن 1879، "قام بعرض موقفه على أنه موقف داروين من خلال وجهة النظر بأن للإحساس أو الشعور منفعة"<sup>1</sup>.

"وقد بدأت براغماتية جيمس بشكل كبير من خلال خطابه الشهير حول التصورات الفلسفية والنتائج العلمية والذي لأول مرة أشار فيه إلى وجهة نظر البراغماتية والتي طبقها بوجه خاص على الدين"<sup>2</sup>

ومن ثمة صاغ وليم جيس تعريف للفلسفة من حيث هي تمثل الحياة عن طريق فكرة المزاج لمكون لرؤية العالم، فهو تعبير تجاوز المذهب العقلي والتجريبي، بل هو فك الصراع بين العلم والدين وفكرة البراغماتية تأسست عند جيمس من خلال الحوار مع تاريخ الفلسفة بمعنى مع ليبينز، كانط، هيغل وهو الذي جعل البراغماتية نتيجة بحث في الدين وماهيته .

إن البراغماتية هي مجرد اسم جديد لطرائق قديمة والذي معناه يدل على القدم في المنهج وطريقة التفكير أنها ليست بالشيء الجديد (الحديث)، وإن البراغماتية هي من وحي فلاسفة الإنجليز وتنسجم مع اتجاهات فلسفية قديمة وحديثة "إن البراغماتية تنفق مع الإسمية في رفض المفاهيم المجردة والتعلق بالشخص، ومع الفلسفة الوصفية في ازديادها الحلول اللفظية ومع النفعية"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> هيربرت شيدر : تاريخ الفلسفة الامريكية ، ص 243

<sup>2</sup> وليم جيمس : البراغماتية ص 47

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، ص 53

فالبراغماتية تسعى إلى تفسير الواقع بمبادئ متعددة أي من خلال الحياة نفسها وليس عن طريق مجموعة التجريدات فهو يرى أن المنهج البراغماتي هو منهج يضع حد للمناقشات للميتافيزيقية وحسم النزاعات بوضع طريقة استبعادها خارج دائرة المعرفة مثل هذه النزاعات التي لا تنتهي إلى قرار هل العالم واحد أم متعدد؟ أم مسير أم مخير؟ أم مادي أم روحي؟، إن مثل هذه الأسئلة لا تنتهي إلى جواب واحد كما أنها تؤدي إلى نتائج مفيدة ولهذا كانت البراغماتية تعمل على محاولة تغيير فكر انطلاقتها من نتائجها وآثارها العلمية هذه الطريقة تكشف الفرق العملي بين صحة فكرة ما وخطتها انطلاقا من أثرها الذي يجب أن يكون ممكن القياس بالنسبة إلى أي شيء سابق عليه .

إن المنهج البراغماتي يحاول أن يدخل في الفلسفة المنهج العلمي أو التجريبي، فالبراغماتية لها علاقة بالموضوعات الإنسانية التي ترتبط بواقع الحياة، ولذا نجد كل من هوسرل وجيمس يربطان المناهج العلمية للإنسان بالحياة أو بالواقع الذي يعتبر مصدر الانتقاء للدلالات والمعاني والذي عبر عنه كانط معرفة الأشياء في حدودها، باعتبار الفلسفة هي طريقة تفكير تربط الأشياء مع بعضها البعض لتخلق نظام وانسجام في الواقع، ولذا نجد جيمس يبحث على أن يكون الإنسان على معرفة فلسفة الشيء قبل معرفته ما هو عليه، لأن في الأول تأخذ الأفكار جاهزة من خلال إعادة فحصها ومن تقابلها للواقع، أما الثاني فالإنسان يتعمق في الشيء القابل بأن يقدم لنا معرفة في شكلها التحليلي والواقع، مما يعطي الإنسان القدرة على استيعاب ظروف نتائجها لتكون ممكنة التصديق والتطبيق وهنا تبرز قيمة البراغماتية في بحثها في المعنى وفي الحقيقة.

فالبراغماتية تسعى لتحقيق معرفي للإنسان معرفة أفكاره فهو بحاجة إلى تتبع بشكل خاص النتائج العملية المحققة منها، أي ما تؤدي إليه من نتائج، وإذا اختلف لفظين باختلاف فكرتين ولكن النتيجة نفسها، والتأثير العملي نفسه يعنى المنطق مختلف إن ما يهم ليس مصدر الأفكار وكيفية ظهورها وإلى ما تتوصل إليه نتائجها العملية المؤثرة على سلوك وحياة الفرد .

وبالتالي إن لكل حقيقة زمانها وشروط انتهاجها، "وليم جيمس يناهض بالتعدد فهو يجعل لكل فرد فلسفته وهذه الفلسفة رهينة بنمط تفكير الفرد وطريقة تحديده، فكل إنسان يؤثر الجانب الذي يرتضيه أي

الجانب الذي يحقق له السعادة في نفسه وبهيمى له حياة راضية سعيدة"<sup>1</sup>، بمعنى الإنسان يعيش في الحياة بما يقتنع به ويرضيه ويترك الباقي للنتائج العملية إلى الحكم بالصواب أو بالخطأ.

فالأمر يبقى شخصي لدى البراغماتية، وليس من الغريب أن نجد المنهج البراغماتي يصل إلى نتائج مختلفة وذلك بسبب التعدد وقد شبه الفيلسوف بايني البراغماتية كمنهج متعدد كأنها فندق فيه ممر طويل فيه أبواب مختلفة ومتعددة، في الغرفة الأولى نجد مفكر كتاب العادي، وفي غرفة أخرى نجد مومنا يركع ويصلي على ركبته ملتصقا العطف والرضى، وفي غرفة ثالثة نجد كيميائيا يبحث في خصائص الأجسام، وفي غرفة رابعة فيلسوف "يتفكر ويستغرق في تأملاته الميتافيزيقية، في غرفة خاصة مفكر علمي معني بالواقع، ولكن سكان هذه الغرف جميعهم لابد لهم أن يخرجوا من أبواب غرفهم ويمروا في هذا الممر، ولا بد لهم أن يستخدموا في حياتهم العملية لأنه مخرجهم الوحيد"<sup>2</sup>

فمعيار صدق أو كذب الأفكار والقضايا هو النتائج العملية والتي تكون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والتي تكون خارج التحقق التجريبي لمنهج جيمس، فهو يرفض بشكل أو بآخر البحث في المبادئ الأولية وفي شكل المطلق، فلا يبحث عن مصدر وأصل الأفكار بل في نتائجها العلمية، والتي يمكن أن تقود إلى تغير الواقع"<sup>3</sup> إن البراغماتي يدير بظهره بكل عزم وتصميم، إلى غير رجعة، بعيدا عن عدد كبير من العادات الراسخة والغزيرة، على الفلاسفة المحترفين أنه يتصرف بعيدا عن التجريد وعن المبادئ الثابتة، وعن الأنظمة المغلقة وعن أشكال المطلق المزعومة ويتجه نحو المستقبل، نحو الدقة والوقائع والفعل والقوة"<sup>3</sup>

فقد عارض جيمس كل تعليق منهجه وثار ضد كل من يفكر بتفكير فلسفي منهجي، جيمس وضع المعتقدين أمرين إذا كان المعتقد ناجحا فهو صادق أم إذا كان فاشلا فهذا يعني أنه كاذب ولذلك لابد من فحص المعتقدات عن طريق مناهج تجريبية والتي تقوم على محاولة والخطأ والتي تفشل فيها بعض المعتقدات التي تستحق فرصة التغيير.

<sup>1</sup> محمد فتحي الشنطي : وليم جيمس ، ص 3.

<sup>2</sup> وليم جيمس: البراغماتية ، ص 54.

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، ص 51.

فأفكار الإنسان هي سلاح لمواجهة الحياة والعيش فيها فالفكرة، وحققتها، وفعاليتها، وصدقها، أو فشلها لا يعني أكثر مما يعني أن تفيد هذه الأفكار في تحقيق الهدف الذي تريد تحقيقه ولذلك فإن حقيقة أي فكرة أو أي نظرية، تنتهي إلى رغبة الإنسان، وتقاس قيمتها بما تحققه من منفعة.

فالمعيار الوحيد للحقيقة هو ما تحققه إرضاء لناحية حيث نطبقها في حل المشكلات الشائكة التي تواجهنا في توازن أذهاننا وانسجام شخصيتنا، إن الحديث عن نفعية الأفكار أثر نظرية داروين في التنبؤ والتطور أو البيولوجيا التطورية التي تنسب السبب في وجود وظائفنا إلى نفعها في حياتنا.

فمفهوم الحقيقة: "إذا حصلت على فكرتك الصحيحة أو الحقيقية عن أي شيء فتقضي الأمر، وهذه هي نهاية المسألة، فأنت مالك وحائرا أنت تعرف لقد حققت مصيرك التفكيرى<sup>1</sup>"

إذا بلغ أي أحد أو أي شخص إلى الحقيقة الكاملة، فلا يصبح هناك داعي للبحث عن أي حقيقة سواء أنت أو الذي يأتي من بعدك وكأنك حققت كل ما كنت تطمح إلى تحقيقه، أي أن الإنسان عندما يصل أو يبلغ الحقيقة فلا داعي أن يبحث، وهنا يصبح الأمر منتهي لمعنى الحقيقة بالنسبة للبراغماتية.

"إذا سلمنا بأن الفكرة أو معتقدا صحيحا، فما هو الفرق الملموس الذي يحدثه كونه صحيحا في الحياة الواقعية لأي أمر؟ كيف تتحقق الحقيقة وبالاختصار ما هي القيمة الفورية، للحق اختباريا وتجريبيا وممارسة؟ يرى جيمس أنه إذا سلم المرء بفكرة ما أو معتقد بأنه صحيح فيما هو الفرق الذي سوف يحدث لذلك الشخص في حياته الواقعية وكيف تتحقق لديه الحقيقة.<sup>2</sup>"

الأفكار الصحيحة والحقيقية هي التي يستطيع الفرد أن يدافع عنها ويقيم عليها الدليل والحجة وذلك من خلال توثيقها، اما الأفكار التي هي باطلة فهو يرى بأنه لا فائدة منها كما أنه لا يمكننا أن نقيم حجة عليها او ندافع عليها كما أن الفرق الذي يحدثه العمل في حيازة أفكار صحيحة نستطيع أن نقول عنه ذلك هو المعنى للحقيقة بمعنى الصدق العقلي لأنه الأساس الذي تعرف به الحقيقة، فالعقل أو الصدق العقلي هو السبيل الذي نكشف به الحقيقة فغياب الصدق العقلي يعني غياب الفعلي للحقيقة.

<sup>1</sup>وليم جيمس : البراغماتية، ص 236

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص 237\_238

عندما نجد فكرة ما صحيحة هذا لا يدل على أن هذه الفكرة قد بلغت مبلغ التطور ، إذا كانت الفكرة صحيحة ليس معناه أنها تبقى راکدة لا تتطور ولا يحدث فيها أي تغيير ،على العكس من ذلك يجب أن تبقى تلك الفكرة في حالة تطور مستمر من خلال دعمها ودفعتها إلى التطور.

فالأحداث هي تجعل منها حقيقية وصحيحة، وصدقها يكون سببا في إقامة الدليل عليها .

فالفكرة الصحيحة تكون نافعة هنا لان هدفها أو موضوعها نافع ومن ثم فإن القيمة العملية للأفكار الصحيحة تشتق بصفتها أولية من الأهمية لموضوعتها بالنسبة لنا ... فنقول عنها عندئذ إنها مفيدة لأنها صحيحة أو أنها صحيحة لأنها مفيدة ،استخدم جيمس الحقيقة كتصور أدائيا من أجل أداء العمل وتحصيل منافع وهي تتغير بتغير الأحوال وهذا الأمر يعطي معنى للحقيقة.

"إن الصدق بهذا المفهوم لجيمس لا يخرج بنا من مجال الإدراك المباشر للموضوع:" طبق جيمس منهجه على مشكلة الحقيقة باعتبارها النقطة الأهم في نظرية المعرفة الخاصة به، وقد تناول جيمس الصدق بالمعنى معيارين أيضا من خلال ما يقود إليه من نتائج مرضية فصدق قضية ما هو بالطبيعة مرهون بما يترتب عليه من توفير لحاجات البشر سواء، كانت سهلة أو صعبة فجيمس يحدد مفهوم الصدق على أساس إنه ليس علاقة دائمة منفصلة عنا بل لا بد أن نبحث عنها وأن نتفعل من اجل اكتشافها وكما عبر عنها جيمس إنه فهو فكرة وموضوع حسي معين، فالصدق ليس خاصية ملازمة لفكرة صادقة وإنما شيء يحدث للفكرة تصبح صحيحة أي صادقة، إذن إن حقيقة الفكرة وصدقها أو صحتها يتمثل في عملية التحقق منها

"إن الحق أو الصدق لا يكون في الجملة قبل النزول بها إلى معترك الحياة والعمل بل هو يطرأ عليها عندئذ فتصبح حقا أو صدقا حين ألمس أثرها الناجح في ميدان السلوك فالحوادث العملية وحدها هي التي تجعلها صادقة أو باطلة"<sup>1</sup>

إن حقيقة كل فكرة سواء كاذبة أو صادقة من حيث النتائج المرغوبة فيها إنما في نهاية الأمر تعود إلى رغباتنا وتقاس قيمتها بما تحققه من منافع لأن معيار الحقيقة هو ما تحققه من نتائج من خلال تطبيقها لحل المشكلات التي تواجه الإنسان.

<sup>1</sup> زكرياء ابراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، ص35

لقد خلص جيمس إلى أن صدق الأفكار هو في معناها أداء للعمل لأن معيار الحقيقة البراغماتية هو ما يتحقق من عمل منتج وليس فيما يتمثل من الأحكام النظرية أو العقلية وأن يجعل الإنسان من هذا العالم لنا بحيث، يشكله حسب رغباته، وكما أن الحقيقة تعتبر نسبية لديه لأنه يرجع بسبب إيمانه بالكثرة والتعدد ويرفض بالواحدية ويكون التحقق من صحة الحقيقة قوامه التجربة وما يترتب عنها من نتائج .

وهذا ما جاء في نظرية المعرفة التي نادى بها جيمس فقد جاءت ناقدة لكل من المدرسة التجريبية والعقلية لأن البراغماتية جاءت بمجديد من خلال التوصل إلى النتائج العملية بطريقة مباشرة لأن معظم الحقائق تعيش وفق نظام مالي قوامه الرصيد بحيث يقول جيمس: "إن ميزة حيازة رصيد من الحقائق الإضافية تكون صحيحة بالنسبة لمواقف ممكنة أو محتملة فحسب"<sup>1</sup>، من خلال أن الإنسان يخزن الحقائق الإضافية في ذاكرته بحيث تصبح تلك الحقائق الإضافية مع الوقت مطلبا عمليا، تؤدي عملا ما وتؤدي إلى النشاط ومن خلاله يمكن القول "إنها مفيدة لأنها صحيحة" أو "صحيحة لأنها مفيدة"، تبقى الأفكار الصحيحة ومفيدة ما دامت لم تتعرض للنقد وأنها مقبولة من الأفراد، فقد شبه جيمس الأفكار على أساس أوراق نقدية وتجربة الإنسان في الحياة هي رصيد.

ذكرنا ان نظرية المعرفة لدى وليم جيمس تأتي بأفكار جديدة، وهي أن صدق الأفكار لن تكون بالنتائج العلمية عن طريق التجربة، وقد توسع معنى النتيجة لدى جيمس من خلال معنيين :

**المعنى الأول:** تتمثل في النتائج المباشرة والتحقق منها يكون من خلال التجربة وكل من يدرس وجيمس اتفقوا على هذا الأمر بأن أي فكرة يمكن التحقق منها عن طريق التجربة المباشرة التي تؤدي إلى المضمون.

**المعنى الثاني:** إن النتائج غير المباشرة تكون من خلال الإيمان بفكرة ما أو عقيدة ما لأن العقيدة ليس لها نتائج عملية مباشرة يمكننا التحقق منها عن طريق التجربة، ولكن الأهم من تلك الفكرة هو نتائجها المرضية<sup>2</sup>.

فالملاحظ أن النتائج المترتبة على هذه القضية ليست التجربة أو القضية ذاتها بل إنه الإيمان بوجود تلك النتائج، مثال الإيمان بالله يجعل المؤمن متغيرا ومختلفا ومن هنا نستنتج أن ليس وجود الله، ليس هو من أحدث

<sup>1</sup> وليم جيمس : البراغماتية ،ص 240.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ،ص 242.

الفارق وأن الإنسان يمكن أن يختبره عن طريق التجربة، وإنما إيمان واعتقاد الفرد بوجود الله هو الذي جعل هناك نتائج نفعية.

### إرادة الاعتقاد:

ان معالجة جيمس للمسألة الدينية تقتضي الابتدائية اولا برؤية الى الاعتقاد او ارادة الاعتقاد ،يتفق اصحاب البراغماتية على ان الجملة لا تكون ذات معنى بقدر ما تكون لها من نتائج عملية تقع في خبراتنا البشرية ، لكن جيمس يسيطر بالنظرية اذ يجعل جملة مثل الله موجود ذات معنى ويوضح ذلك بقوله ان وجود الله يستحيل بالطبع اثباته الا اذا احتكنا الى خبرتنا العملية لأننا لا نراه ولا نسمعه ولا نلمسه.

يقول وليم جيمس : " ان ارادة الانسان لفي حاجة دائما الى قاعدة تعمل وفقا لها فاذا لم تجدها اخترعها"<sup>1</sup> ، فالاعتقاد في نظر جيمس هو المبدأ الذي يسبق الفعل فالاعتقاد بصحة فكرة ما يجعل هناك دافعا قويا من اجل تحقيقها ، لذلك يعد الاعتقاد بداية كل موقف فلسفي او غير فلسفي ، والعمل هو نتيجة لفكرة نؤمن بها

كما نعلم أن البراغماتية في صراع مع العقيلة ، فهي لديه رؤية مخالفة للاعتقاد على غرار البراغماتية حيث يرى العقلانيون أن الاعتقاد ان الاعتقاد والارادة يخدمان الرغبة ويسيران على نحو العاطفة كما أنهما عنصران ذاتيان ، "بينما تهدف الفلسفة الموضوعية الخالصة الى التحرر من الرغبة والتجرد من العاطفة بغية الوصول الى الحقيقة"<sup>2</sup> ، إن المدرسة العقلية تعتبر أن كل تفلسف يدل على الاقناع والاعتقاد ليست كذلك ، فهو يعتبر أن الاعتقاد من اجل شيء نحن في حاجة اليه ، ولذلك فهو يشكل إنحراف عاطفي أما العقل فهو يعتبر دليل على الصدق.

فالاعتقاد يتوقف على ارادة الانسان المعتقد ، فالإنسان ليس في استطاعته أن يفكر او يجيا دون إيمان او إعتقاد ، " فالاعتقاد مجرد فرض ناجح وهو نفسه عامل فعال من عوامل تحقيق ما نؤمن به او نعتقد

<sup>1</sup> وليم جيمس :العقل والدين ،ترجمة محمود حب الله ، بيروت : دار الحداثة : د.ت ص 581

<sup>2</sup> زكرياء ابراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، القاهرة : مكتبة مصر 1967 ،ص 40

وذلك مثل الاعتقاد بأمانة شخص قد يكون هو الكفيل ببث روح الامانة نفسه<sup>1</sup>، الاعتقاد هو تعبير عن رغبة وجدانية مع الارادة ، فالإنسان اعتقاده لا يقاس بمدى معرفته للأصل بل بمدى ما يعطي من نتائج مرضية ومفيدة ولكن هذا الامر دائما كان متعارضاً مع العقلانيين ، اما جيمس يرفض ما يدعو اليه العقلانيون لان العقل ينتهي الى الشك ، او المطلق ولكن هذا لا تتلاءم مع الحياة الدينية والاخلاقية ففي قول جيمس انه لو نعمل او نعتقد الا على هذا الاساس لكان علينا دائما ان نبدأ مما هو حقيقة لا تقبل الشك ، عندنا ابدًا وستكون النتيجة طالما لا تتوفر هذه البداية هي الكف عن المعاصرة ، وبالتالي يتوقف البحث العلمي والتقدم البشري ، حيث تتدفق العمل والحركة.

ولذا جيمس وضع ارادة الاعتقاد باعتبارها تصنع مستقبل الانسان فهي تجعل في نفس الانسان قدرة على العمل وهذا العلم المرن والناقص يحتاج الى نوع من الايمان والاعتقاد الذي يوجد في الانسان وبممكنه من ان يساهم في عمله وفي التغيير.

تناول ارادة الاعتقاد واحد المفاهيم في منهجه البراغماتي وفي هذا يقول بنتراند راسل فلقد ناصر البراغماتية من حيث اداة لتقسيم الآمال الدينية على انها فروض علمية ونظرية في ارادة الاعتقاد ، فحرية الاعتقاد تعتبر كحل لقضايا او المشاكل ولكنها تقع خارج التجربة وبالتالي ليس لها نتائج حسية مباشرة ، فهي اعطت الحق للمعتقد في ان يعتقد ولكن لا بد ان يعود عليه بالنفع والفائدة ولا يهم ان كانت هذه المعتقدات صحيحة او خاطئة موجودة او غير موجودة ان كانت تضر الاخرين الذي يهم انها لا بد لها ان تعود بالنفع على الفرد ، فان قبول نظرية واعتبارها صحيحة دون اي برهان وبمجرد انها نافعة او انها ترضينا من ناحية ما هو الا نقيض للموقف العلمي.

فيصعب علينا ان نثبت وجود الله عن طريق الخبرة العملية ولكن هناك طريق غير مباشر من خلال رجوعنا الى نتائج حسية غير مباشرة والعامة مثلا يوجد شخص يؤمن بوجود الله دون ان يراه مثل الحال في مجتمعنا الاسلامي فيكون الانسان قوي ومطمئن ومرتاح ، اما هناك من لا يؤمن بوجود الله تكون حالته النفسية غير مستقرة، وتجدد متشائما.

<sup>1</sup> زكرياء ابراهيم :دراسات في الفلسفة المعاصرة،ص40

"وبهذا فان الاعتقاد ، سيكون عاملا لتحقيق ما نؤمن به او نريد الاعتقاد يساعد على تحقيق ما نريد كون العقل ليس مجرد بل محكوم عليه بالرغبة انه يختار فمن حقنا ان نعتقد في شيء يتخطى حدود ما هو معروف فالإيمان يحقق نفسه بنفسه"<sup>1</sup> ،

رفض العقلانيين بإصرار فكرة الاعتقاد التي ناد بها جيمس ، من خلال ترك الناس يعتقدون فيما شاء او فيما يرغبون ، ان هذه الفكرة تفتح الابواب للشرك ، والتحرر و النبوذ ، وخاصة الخرافة والاساطير ، ولكن جيمس يقول عكس ذلك " الانسان يمضي في طريق التقدم ولكل تقدم ثمن ، وهذا الثمن يتمثل في تلك الاخطار"<sup>2</sup> ،

وأخيرا إن ارادة الاعتقاد جاءت مدفوعة بدوافع دينية ولذا نجد موقف جيمس من الدين إرتبط بالتجربة الدينية ، فلقد وضع جيمس كل من المسألة الدينية أو الايمان مرادفا لا رادة الاعتقاد وقد بين من خلاله أن جوهر الايمان هي الارادة، " إن الانسان لا يحتاج في مجال الدين الى الصدق أو الاخلاص ولا الى الاثبات صدق الاشياء والتأكيد عليها ، ولكن الامر هنا يعود الى ارادة شيء لم تؤيد حقيقته الواقعية تأييدا علميا ولم ترفض كذلك من وجهة نظر العلمية فالإنسان هنا يريد"<sup>3</sup>.

#### حرية الإرادة :

"كان وليم جيمس معارضا للنوعية الواحدية في الفلسفة بنزعة تعددية واضحة، فإنه لم يكن يرى العالم الذي نعيش فيه موحدا بصورة مطلقة"<sup>4</sup> ، إن رأي جيمس في العالم هو عالم متعدد لا يوجد عالم متحد، واحد، بل هو متفكك وغير متماسك ومدام العالم غير متماسك ومتفكك فإن ذلك يلعب الدور في حياة الإنسان من خلال مستقبله، وفتح المجال أمام الحرية الإنسانية، وفي هذا المجال طرح جيمس نوعين من

<sup>1</sup> منتهى عبد جاسم: سيكولوجية الدين عند وليم جيمس، الحوار المتمدن، العدد 3352، 2011.

<http://www.ahewar.org>

<sup>2</sup>الشنطي : وليم جيمس ، ص 170

<sup>3</sup>المرجع نفسه ص 171

<sup>4</sup> فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي، دار العبير بيروت، ط1، 1993، ص112

العالم، عالم الواحد والعالم التعددي، فالعالم الواحد يكون فيه نظام الكون محدود ومنضبط بحيث ترتبط أجزائه لتشكيل الكل وكل شيء في هذا الكون لديه عمله ولكن بضوابط محدودة، ام العالم التعددي فهو يسميه جيمس بعالم الحرية وليس عالم الحتمية والضرورة مثل الواحد، أما عالم التعدد عند جيمس فهو عالم مفتوح وليس مسدودا أو مغلق، كما أنه عالم الحرية لا عالم الحتمية والضرورة والعلاقات فيه خارجية، وليست علاقات باطنة تلزم من تصورهما لكل مطلق، كما تفعل الفلسفات المثالية<sup>1</sup> .

وليم جيمس يعارض بشكل كبير عالم الواحد الذي يسلب الحرية الفردية، ويعتبره عالم ملزم وضروري إلا أنه في مذهبه الواقعي (الواحدية المحايدة)، عرضه في كتاب له والذي أخذ به بنتراداسل، وتركزت حوله نظرية في المادة والعقل، وهذا ما جسده جيمس في كتابه مبادئ علم النفس.

وقد وصف العالم بأنه مادة محايدة، ولو نلاحظ هناك تناقض كبير بين رأي جيمس الأول الذي ينادي بالتعددية ثم اتخذ منها ما يسمى الواحد المحايد ولكن أراد ان يقول أن الهدف من واحدته هنا هي "أنه لا يوجد لغير نوع واحد من الألوهية في العالم، وهذه الألوهية ليست عقلية كما أنها ليست مادية"<sup>2</sup> ، لم يجعل من العقلية ولا المادة مصدر الألوهي بل الألوهية الفعلية هي قطع من التجربة الخالصة.

وقد كان جيمس من المؤمنين بحرية الإرادة وفعاليتها، وارتبطت فكرة الحرية عنده بنظرية التعددية إلى العالم، وبنظرية الفلسفية في الجهد الإرادي<sup>3</sup> ، كما أسلفنا الذكر من قبل حول نظرة جيمس إلى العالم التعددي

الذي هو عالم منفتح، متغير متجدد كما أنها لا يوجد فيه إلزام أو قسر بل هو يمنح الحرية التامة للإنسان وخاصة في نظرتة للمستقبل، فأعتبر جيمس أن الحرية هي الأساس الذي يقوم عليه العالم التعددي، فهي بمثابة

<sup>1</sup>فؤاد كامل أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، ص112.

<sup>2</sup>لمرجع نفسه، ص113.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص113.

الأصالة التي تميز ذلك العالم، "والواقع أن نعاني الصيرورة والتغير والجددة والمصادفة والحرية يهي من المعاني المتلازمة التي لا تكاد تنفصل عن المذهب التعددي<sup>1</sup>."

أما فيما يخص قول جيمس حول الجهد الإرادي يقصد من ذلك أن الإرادة تتحقق من خلال جهد الانتباه وبمعنى أن الإنسان يركز انتباهه على فكرة واحدة وإلغاء باقي الأفكار التي تشد تفكيره، وحرية الإرادة ما هي إلا قدرة الذهن على التحكم في جهده الانتباهي وعندئذ تتولد الحركة اللازمة لتحقيق الفعل المراد تحقيقه.

إن للحرية لدى الكثير من المعاني وغيرها من المفاهيم وجيمس يؤمن بحرية الإرادة في عالمه التعددي، فقد ضم أيضا (إرادة حرية الاعتقاد)، من خلال رأيه بأن عامل الاختيار هو الذي يحدد اعتقادها إلى حد كبير، فالإنسان أو المتمدن عندما يمتلك الحرية فإنه من حقه أن يعتقد فيما يشاء وخاصة أن عالم قائم على التعدد ومن أجل تحقيق الاعتقاد لابد للإنسان أن يمتلك الإرادة لتحقيق الإيمان وليس عن طريق العقل.

فجيمس يرى بأن العالم متوقف على إيمان البشر، إن العالم خير، لأنه ليس إلا ما نجعل منه، وأنا لجاعلون منه شيئا خيرا، مادام الإنسان قادر من خلال إرادته أن يخلق العالم الذي يعيش فيه فهو قادر على خلق لنفسه الأفضل، فإرادة الاعتقاد تقوم على الحرية وهذه الحرية تتوفر في العالم التعددي، فالحياد لدى الإنسان يجعله مرغم على اتخاذ قرارات لا يرغب فيها، لذلك لابد للفرد أن يتمتع بالحرية والإرادة وأن يعتقد فيما يريد اعتقاده، فجيمس يرى بأن قرارات الإنسان تؤثر على عامله لأنها تساهم في إنشائه وتشكيله، في الاتجاه الذي تريده معتقدات الإنسان.

#### الدين :

عالج وليم جيمس المشكلة الدينية ، انطلاقا من حاجات الانسان فما يكون صميم الدين بالنسبة لوليم جيمس ، هو الشعور الديني ، او العاطفة الدينية ، " فليست العبرة بالطقوس والفرائض بل العبرة بالروح والديانة الشخصية الباطنية"<sup>2</sup> ، يعتبر جيمس الدين امر شخصي ويرفض العمومية ، فجيمس في "نظره لا يهتم المعتقد بالأسس التي يقوم عليها بل بالنتائج التي تنتج عن الدين وتبقى الصلة بالحياة لان كل منا يحيا وفق مزاجه الديني "<sup>3</sup> ، اقام جيمس المشكلة الدينية على موقفين اسايين وهوما:

<sup>1</sup>المرجع نفسه ص 114

<sup>2</sup>ابميل بوترو ،: العلم والدين ، ص 245

<sup>3</sup>المرجع نفسه ،ص252

اولا : حق الانسان في الاعتقاد فله كل الحرية في ان يعتقد فيما يشاء وفي صياغة آرائه وافكاره ، فهو يترك الانسان الحق للإنسان في الاختيار الجانب الذي يحقق له السعادة حتى ولو كان على خطأ، المهم ان يكون سعيدا في حياته وراضيا بما يعيشه ويدع كل شيء للمستقبل سواء كان حكما صحيحا او خاطئ.

ثانيا : وهو يعتبر الاساس في الجانب الديني الا وهو الوجدان ، فالوجدان يعتبر الوسيلة الوحيدة التي يثبت بها الدين في نفوس الناس وليس العقل ، ان الوجدان وحده وليس العقل هو الوسيلة الوحيدة لتثبيت الدين في نفوس الناس وللإقرار بوجوده ، فالإقرار بعقيدة يعود الى الوجدان والغريزة ، اما بالنسبة للعقل فهو يشكل مرحلة ثانوية للمشكلة الدينية ، لان وظيفته هي تنظيم العقيدة او التنسيق فقط.

كما ان الدين يكون الايمان بعالم غير منظور والعقل لا يمكن ان يصل الى ذلك العالم كما يعجز عن البرهنة على وجوده ، بل الوجدان والغريزة كل منهما فقط يحقق وجود هذا العالم الخفي.

فمن خلال هذين الموقفين الاساسيين للتجربة الدينية بين جيمس ان هناك عالم غير منظور لا يمكن الوصول اليه عن طريق العقل ، بل بالوجدان والغريزة والذي يؤكد على وجوده بصفة مؤكدة هي التجربة الانسانية من خلال مجموعة التجارب الصوفية النفسية خلال التنويم المغناطيسي ، والعلاج الروحاني.

فالإنسان حين افترض وجود عالم غير عالمه الحقيقي وهذا لا بد ان يعود عليه بالنفع والراحة والسعادة ، مما يتلاءم مع الحياة الروحية والاخلاقية ، وهذا ما قاله في البراغماتية بان مبادئ البراغماتية تقتضي ان يكون وجوده اله فرض حقيقي ، اذ كان من شأنه ان يبعث السلوى و السكينة في النفس البشرية باعتبار ان جيمس لا يؤمن بوجود الله كاله وانما يؤمن لا نه يحس انه في حاجة الى الايمان فقط.

تحدث راسل عن فرق بين جيمس والمتدين هناك اختلاف كبير حيث ان جيمس يرى ان الدين مجرد ظاهرة انسانية المهم فيها ان يحقق السعادة للناس ، لا غير لذلك يقول "انه لا بد ان يوجد لا نبي في حاجة ماسة اليه"<sup>1</sup> ،

تعد نظرة جيمس الى الدين ظاهرة انسانية تجلب النفع لمن يعتقد به وهذا المفهوم مخالف لمفهوم الدين الحقيقي ، وهنا جيمس تجاوز كل الحقائق برغم من لجوئه للأيمان ، وقد بين على ذلك من خلال رسالته لإحدى

<sup>1</sup>زكرياء ابراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، 1967 ص 50.

بناته بحيث يقول فيها "فاذا امنت بالله فان هذا الايمان وحده لا بد من ان يجعل من الله حقيقة واقعية في حياتك ، وهكذا تري القيمة العملية لعقيدتك في القيمة الفورية الروحية لاعتمادك على قوة خلقية تغمرك بحبها ، وصدقتها وهي قوة اعظم من قوتك ، ان الايمان بالله لهو استثمار مجز فهو يعود عليكم بكسب قوامه نفس مطمئنة لا نه يزودك بمرشد ،قوي يهديك الى تحقيق اسمى امانيك<sup>1</sup>"

لذلك صب جيمس إهتمامه بالتجارب الدينية بصفة أولية على الدين والتي تتميز بالتعدد وقد كان لكل واحد وجهة نظر خاصة حول معتقده وكذلك لا يمكن القول بان كل واحد صحيح ، فيما يعتقد والحكم على ذلك لان كل واحد يرى بان عقيدته ومذهبه وفكرته عن الله صحيحة وخاصة اذا أمكنه من حل مشاكله ، ولكن مهما تعددت التجارب الدينية الا ان الشعور يقودنا بطريقة لا شعورية اننا نتشارك في موجود واحد اعظم وهو الله او المبدأ.

#### التجربة الدينية :

#### طبيعة التجربة الدينية:

"كان يلوح الكثيرين ان الوقائع الدينية نسيج وحدها ولكن الوقائع الفريدة على الإطلاق تكون مشكوكا فيها، لأن تقدم المعرفة يقضي بنا عموما إلى الكشف عن اتصال حيث تدفعنا الملاحظة السطحية إلى الاعتقاد بوجود ثغرات لا يمكن تجاوزها"<sup>2</sup> ،من خلال هذه التوطئة تبين أنه كان ينظر للظواهر الدينية على انها نسيج وحدها ولكن يمكن الشك فيها، فهي تقدم إلى كشف عن وجود اتصال ولا يمكننا من خلال ذلك أن نجعل الظواهر الدينية داخل هذا المجال لأنها مرتبطة بالظواهر الشخصية ،ولأن دراسة هذه الظواهر تكشف عن الأساس الذي ينمو فيه ويبرز الضمير الديني وهذا ما نلاحظه عند العصبيين والمتصوفين.

"كما أن جيمس تحدث عن ظاهرة تحدث لدى الناس هي الهلوسة، فالإنسان المصاب بالهلوسة يتصور أشياء في مخيلته وكأنه يحس بوجود وحقيقة هذا الشعور تكشف عنه الحواس، وكأنه شعور خفي يولد الوجود الذي صدر ويولد لنا ما يسمى بالإيمان، والذي يتعدد من خلال الأفعال ومثال ذلك "أوامر كانط الخلقية وإن لم

<sup>1</sup> هنري توماس : اعلام الفلسفة كيف نفهمهم : ترجمة هنري امين ، القاهرة العربية ، د.ت ص 379

<sup>2</sup> ايميل بروكتور : العلم والدين في الفلسفة المعاصرة،ص242.

تكن في أي درجة موضوعات لتمثيل المحسوس والمعرفة النظرية، إلا أنها تحدث في النفس إيمانا عمليا  
فعالا<sup>1</sup> "

كما قام بعض من الصوفيين يجربون حالة الهلوسة، حتى أنهم تخيل لهم بأنهم الذات الإلهية ولكن وكأنه مجرد تصورا فقط لم يكن لديهم تصور فعلي أو تمثيل فعلي، ولكنه يؤثر فيهم وفي إرادتهم وأحاسيسهم.

"ولم يستطع أبدا المذهب العقلي فيما يقول جيمس أن يقدم تفسيرا مقبولا لهذا الشعور بالوجود، مع غياب أي شيء معطى بالحواس ويظل هذا الشعور باقيا عند من يجربه، على الرغم من كل الأسباب التي تبين أنه وهمي وهذا مثل الاعتقاد في حقيقة موضوعات الحس<sup>2</sup>"

يرى جيمس أن المذهب العقلي لا يقدم تفسيراً عن الشعور بالوجود كما أن الشعور يبقى عند الإنسان الذي قام بتجربته فقط، لا يمكن أن يكون لدى الجميع وعلى الرغم من ان قام بتجربة الشعور يوحى له بكل الطرق بأنه وهمي وليس حقيقي وقد شبه وكأنه اعتقاد في موضوعات الحس، فمن خلال هذه الحالة نخبرنا بأن هناك في الإنسان حواس خفية فيه يستطيع أن يرى بها الحقيقة على غرار الحواس الطبيعية العادية.

"وثمة طريق أخرى يفضي إلى الشعور الديني وهو التفاؤل والتشاؤم الطبيعيان ونجدده عند بعض العصبيين حيث ينمو بشكل ملحوظ<sup>3</sup> "، يتحدث جيمس عن شعورين بارزين في حياة الانسان واعتبرهما أحد مصادر الشعور الديني وهما التفاؤل والتشاؤم الطبيعيان في الفرد، وقد قسم الناس من خلال هذين الشعورين إلى صنفين المولود مرة واحدة والمولود مرتين.

إن جيمس اقترح طريق آخر يؤدي إلى الشعور الديني من خلال صنفين موجودين بالطبيعة في الإنسان وهما التفاؤل والتشاؤم وكل فرد يحمل هذين الصنفين في ذاته وقد اقترح عليهم إسم المولود مرة واحد والمولود مرتين وفي هذا فهو يميز بين صنفين بحيث يكون الأول متفائل بطبيعتهم وهو يؤمن بأن هناك قوى خيرة تسعى دائما إلى انتزاع الشر وتحصيل السعادة، اما الصنف الثاني فهم يمتلكون صفة الحزن والبؤس والتشاؤم، فتركبت لديهم فكرة

<sup>1</sup> إيميل بروتور: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 243.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 243.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 243.

أن كل موجود يدعو إلى ما يسمى إلى الفشل وليس هناك ما يسمى بالسعادة، حتى أنهم إذا تأملوا في رغباتهم يعتبرونها مجرد تفاهات لا أقل ولا أكثر، وهذا ما يجعلهم يعانون من حالة مرضية وهي القلق والوسوسة، ويقومون بتعذيب أنفسهم وعيش في بؤس دائم، وهذا الصنف المتشاؤم يحتاج إلى ولادة ثانية حتى يبعث من جديد.

"وتمتاز ولادة الثانية بانفعال يحول مركز النشاط الشخصي، فبدلاً أن يقول المرء المولود ثانية لا لكل ما يحدث له يقول نعم، وبدلاً من الإنطواء على نفسه يمد يده إلى غيره في عطف وإخلاص وشعور صادق بالإخاء"، ومنذ ذلك يرى الأشياء في ضوء جديد ويسلك سلوكاً مختلفاً عما كان يسلكه بالنسبة لكل الأفعال التي تؤثر فيه... وقد يبلغون كمالاً أعظم ممن استقروا في الطريق منذ الولادة<sup>1</sup> "

هذه الولادة الثانية هي التي تحدث التغيير في حياة الإنسان المتشاؤم من خلال مراجعة ذاته ويحدث فيها الطمأنينة والأمان، لأن القلق الذي يعيشه والوسوسة تجعل من الشعور الديني يندثر، أم الإنسان المتفائل والمولود مرة واحدة يتميز بالحب والود والثقة وقوة الصلة بينه وبين ذاته ودينه .

"والذي يؤخذ من الملاحظات أن الدين في جوهره أمر شخصي والحق في ذلك أن هناك صور من التجربة الدينية بعدد المتدينين فالدين متصل بالحياة وكل منا يعيش بحسب مزاجه الخاص وبمحض مواهبه الخاصة"<sup>2</sup> ، أشار وليم جيمس أن الدين ليس عاماً وشاملاً وإنما أمر شخصي في جوهره فكل إنسان لديه تصوره الخاص، فالدين متصل بحياة ولذلك نرى كل إنسان يعيش بأسلوبه الخاص، ولهذا أعتبر الدين خاصاً وأمر شخصي وهذا الأمر يبرز في الشعور الديني.

"فالصلاة أبرز الأفعال الدينية، بلا مدافع تستلزم الاقتناع بأن بعض الأحداث بفضل موجودتي منا ومن عالمنا المحدود، قد تحققت أما في أنفسنا وإما في خارج أنفسنا"<sup>3</sup>

مثال على أبرز الأفعال الدينية، هي الصلاة ونحن نقنع بوجود أحداث تكون بفضل وجود ما هو اسمنا منا وأقوى وأبدي من العالم المحدود الذي يعيشه الإنسان، فالصلاة هي دليل على الإيمان أو الاعتقاد الذي لا يكاد

<sup>1</sup> إيميل برورتور: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 245.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 245.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 245.

ينفصل عن الأفعال الدينية فالإنسان المتدين يشعر دائماً أنه لديه موجود آخر متصل به فيمنحه السلام والقوة والثقة، هو نفسه لا يمكن أن يمنحه لنفسه لابد من وجود ذلك الموجود العظيم الذي يستند إليه الإنسان وكأنه قوته، إن هذا الاعتقاد بوجود فكر في التجربة الدينية لكن دائماً تعطش الانسان لخلق نماذج وتعتبر هي يجعل من الاعتقاد محدودة وفكرية وهنا يتحول الدين إلى لاهوت وفلسفة، وهذا ازدهار بوجه طبيعي دام بيننا عن ميول للطبيعة البشرية ولكنه مع ذلك طارئ لا يترتب عن النمو البسيط للتجربة الدينية بل ينشأ عن ربط هذه التجربة وبين سن ما تكسبه من ذكاء

### قيمة التجربة الدينية:

إن الوقائع الدينية تعتبر وفصية، كما لا يمكن استبعاد مسألة الشعور الديني باعتباره مسألة انتهى زمانها ولذا قام جيمس بمعالجتها من وجهة براغماتية باعتبار أن هناك نوعين من الأحكام أولها هناك أحكام وجودية والتي تكون ذات أصول والثانية تتمثل في الأحكام الروحية بمعنى القيمة، ومن أجل تحيد القيمة لابد أن تكون هناك تحديد للواقع نفسه قائم على منهج تجريبي لأن قوام الفكرة والاعتقاد والعاطفة هو التجربة بصفة أولية.

إن جيمس لا يولي الدين الأصلي أهمية ولا حتى في أصوله أو نشأته وأن أهمية لا تكمن عندما يسأل الإنسان عن قيمة الدين بال فيما ينتجه هذا الدين، كل شيء يقوم على النتائج المترتبة عن الدين ولذا قد أعطى جيمس مثال على ذلك من خلال قول: "الحكم على الشجرة عند وليم جيمس من خلال ما تنتجه من ثمار"<sup>1</sup>، وهذا يدل على كيفية البحث عن آثار الانفعال الديني وما يحققه.

إن ثمرة الحياة الدينية تنحصر في القداسة والتي تنبثق عنها مجموعة من المظاهر من بينها المحبة الطاهرة، قوة النفس، الطاعة كل المظاهر التي تمثل نشاط خلقي والإصلاح والسعادة لدى الإنسان، باعتبار أن القداسة تعبر عن المبدأ الديني بمعنى الكلمة والملاحظ أن الإنسان الزاهد كان لا يستخدم قوة النفس ويفضل استخدام قوة البدن ولكن الإرادة كانت تخلق نشاط وقوة في نفس الانسان وذلك من الخطأ قول أن الإنسان يعيش بدون جهود فهذا اعتقاد خاطئ ولأن الإنسان يفرض نفسه على الطبيعة وليس الطبيعة من تفرض نفسها عليه.

<sup>1</sup> إيميل بروتور: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 246.

إن الدين لا يكون أثره أخلاقيا فقط كما يظن البعض ومثال على ذلك أن الإنجيل ذكر أن المسيح كان يشفي المرضى دون تمييز بين مرض البدن أو الروح، فقد كانت كلماته تشفي الروح والبدن باعتباره أن طهارة القلب والايمان وعلاقتها بالخالق هي ذو فضل عظيم.

من بين الآثار التي ترتب عن الايمان أن الايمان أصبح فيها ضروريا، أي لا بد من الإيمان بقوة طبيعية وبالإيمان وكأنه إعتقاد ديني، فالدين بالنسبة لجيمس هو دين نافع وهو نافع من أجل الانسان فإنه يجد فيه اشباع لحاجاته ويكفي أن يحقق السعادة والأمن وهو يعتبر حق مثل وجود الكائنات الطبيعية حق.

تظهر قيمة الاعتقاد عن طريقتين الأول عن طريق التصوف والثاني في الفلسفة فالرأي الأول يرى المتصوفه أن بعض الأشخاص بوجه خاص عندهم إدراك حسي بالله وبالأمر الإلهية سببه هذا الإدراك المحسوس للعالم المادي وقد تبين أن الإنسان عندما يكون في حالة شعورية لدرجة ، ذلك لان عاطفته ضرب هائل من المعرفة يبصره عن طريق قلبه، ولكن مع ذلك تبقى الألفاظ والتصورات عاجزة عن ترجمة هذا الفيض من الحس الغريب .

معنى هذا القول أن "المتصوفة يظلون عاجزين عن بيان حقيقة مشاعرهم وقيمة وجدانهم هذا إلا أن التصوف يقوي العاطفة الدينية ويزيد في أثرها بما يضيفه من معنى فائق على الحس إلى معطيات الشعور العادية"<sup>1</sup>، إن هذا يدل على أن التصوف لا يقدم المعرفة بمعناها الحقيقي كما أنه لا يقدم أسباب تثبت قوة هذا الإنفعال الديني الذي جاء ضد العقلانيين.

وقد ذهب الفلاسفة أن في مقدورهم تبيان الحقيقة الموضوعية للتصورات الدينية وذلك عن طريق العقل وهذا ما رفضه جيمس من أن يكون إثبات وجود الله وتحديد صفاته عن طريق الأدلة الفلسفية الكلامية ،فهي مجرد أدلة وهمية لأن المفاهيم التي تترجم إلى اختلافات في السلوك العملي هي الوحيدة التي لها المضمون الواقعي.

"الواقع تنطوي العاطفة الدينية ذاتها مهما يكن ما نصفها به من دقة على الايمان يتطلع إلى حقيقة موضوعية إنه الايمان بوجود موجود أعظم وأفضل منا يحول محورا شخصيتنا حين يتصل شعوريا"<sup>2</sup> ، إن العاطفة الدينية تدفع بالإنسان إلى الإيمان بوجود مخلوق أعظم وأقوى منا وهو يعتبر محور شخصيا وذلك يتوفر

<sup>1</sup> إميل برتور: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 249.

<sup>2</sup> المرجع نفسه 250

عندما يتصل بالشعور وهي حالات نفسية تسمى باللاشعورية وقد سماه مايرز "الأنا تحت الشعورية" بحيث يقول لبيترز أن هناك الكثير من الأمور في انفسنا ولا يدركها شعورنا، وانه هناك عدد من المدركات الحسية لا تخطر ببالنا، والانسان هعن طريق هذه المدركات الحسية اللاشعورية يتصل بعالم آخر، وقد شبه بيتنز هذه المدركات بالحسية وكأنها عواطف، والتي تجعل الإنسان يشارك مع مخلوق أعظم منه.

وهذا يدل على وجود أنا تكون فوق عتبة الشعور، وهي الأنا اللاشعورية، ويتجسد بشكل مباشر عند بعض الناس.

يذهب مذهب الأنا اللاشعورية بأنه هناك قيمة عملية للاعتقاد المباشر الذي ينطوي على الظاهرة الدينية، إن هذا الاعتقاد يدل على أنه هناك قوة خارجية يتأثر بها المتدين، ولكن مع ذلك يمكننا القول أن الشعور الديني الذي يثبت صلته بقوى أقوى وأعظم منه والتي يرجع إليها ويستمد منها قوته وفرحه هذا يدل على أن حقيقة التجربة الدينية هو أساسها واحد وهو التجربة في حد ذاتها.

إن هذه مجموعة الحقائق عجزت كل من الأنا اللاشعورية أو الفلسفة، والصوفية عن البرهنة عليها، فهي اعتقادات مزيج من الخيال والمزاج العقلي والخلقي لكل الأفراد ولكن إذ لم تستطع البرهنة عليه هذا لا يعني بأنها دون قيمة أو فائدة بل العكس من ذلك لا بد من اعتبار الدين أمر شخصي بمعنى أن مصدره شخصي فردي وليس عام فإذا كانت الظاهرة الدينية تفكر من تقبل كل شيء وجود فعل يولد خارج الذات الشاعرة وأحداث فيها، هذا التغيير فإن التفسيرات أو الأفكار أو الاعتقادات التي يضعها العقل بين السبب والنتيجة هي نفسها قابلة للتأثير في ميول الأنا الشاعرة وفي استعدادها لقبول الهامات الأنا العليا.

فالتأثير الديني يختلف باختلاف ظروفه ومكانه وحتى باختلاف الأفراد، وهنا تتجلى فكرة جيمس حول الظاهرة الدينية فهو يرى بأن العالم المثالي الغير منظور إنه ليس عالم كامل وخالص، لأنه بإمكاننا تصوره على أنه الله كما يسمى في الأديان السماوية الأخرى وأنه بإمكاننا أن نتشارك مع الله في أمور عدة من أجل تحقيق الكمال للعالم ولذلك جيمس لا يؤمن بحقيقة كمال الله ووحديته بل يرى ان الله ما دام بإمكاننا أن نتشارك معه في تحقيق خلاص العالم وأموراته فإن هذا الأمر يعني أن الإنسان من خلال مشاركته مخلوق أعظم منه على تحقيق أفضل الأمور فهذا معناه أننا نحقق أسمى مصير لنا، وإنه يرفض الله إذا كان غير قادر على تلبية مطالب الأفراد وتحقيق حاجياتهم فإنه ليس جديراً بصاحب الشعور الديني ولا نطلق عليه بالعناية المتعالية فقط، فالله الفعلي هو الذي يكون إلهاً عملياً بحيث عندما يلجأ إليه الإنسان لا بد من حدوث تدخله وإحداث تغيير

في مجرى الأحداث وكأنه عبارة عن معجزات تحدث فيقول جيمس "إنه لا بد ان يوجد تتلاقي حاجة ماسة إليه<sup>1</sup>" إن إله مائل بالفعل في تجربتنا وإن هناك علاقات بيننا وبينه" كما يرى أن الاعتقاد بأن النفس خالدة فهو يذكر هذه الفكرة لأنه يرى لا وجود لمصطلح الخلود فالمهم أن الحياة الروحية تكون مرتبطة بالبدن باعتباره العلة الكاملة وهو يقول "إننا إذا كنا على يقين من أن طلب الغايات المثالية الغريزة، علينا مضمون ابداء، فلست أرى لم لا يمثل جميعا بعد تأدية مهمتنا إلى ان لكل غير أن العناية باستمرار تعاوننا في الحياة الدينية.<sup>2</sup>

### التجربة الصوفية :

تقوم على حدس أصيل ولها آثار نافعة وأنها بما تحت الشعور تتصل بطاقة من ظواهر معلومة<sup>3</sup> إن التجربة الصوفية غير قابلة للملاحظة فهو يعتبرها عن حالة شاذة فردية والخروج من الشك لدى الصوفية هو الخروج من الذاتية ومن هنا يصبح عمل التصور هو الفعلي وينتهي ما يسمى بالاعتقاد بالتصور بمعنى هنا يحدث ربط بين التجربة الدينية والنفسية والفيزيائية واتصال بعالم آخر، عالم أرواح وهذه الحالة لا يمكن وصفها ومشاركتها أو نقلها لأشخاص آخرين فهي حالة شخصية ذاتية وهذا ما ذكره جيمس في كتاب صنوف التجربة الدينية، أن الصوفية تقوم على النسقية الفكرية من خلال انماطها وصورها وحدائتها هي عاطفية لا تنحدر في نطاق العلم، لأن منهج العلم استقرائي وذا خيرة حسية فهما لا يبلغان ما يسمى بالحقيقة، ولا يمكن اثبات صدقها، "الخبرة الصوفية تمد صاحبها بنوع من التقية الفكرية"<sup>4</sup>، الصوفية تقوم على المعرفة اليقينية ويقومون على مبدأ واحد وهو أنهم يتفقون على ما يسمى بجوهر التجربة.

<sup>1</sup> زكرياء إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص50.

<sup>2</sup> إيميل بروتور: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص253

<sup>3</sup> منتهى عبد جاسم: سيكولوجية الدين عند وليام جيمس.

<sup>4</sup> خالد عياشي: نقد الميتافيزيقيا في الفلسفة الأمريكية، ص79.

وكذلك الأمر بالنسبة لخاصيتين اللغة والتلقائية والسلبية التامة يقوم من خلالها الصوفي بالارتقاء من مقام إلى آخر وذلك تجاوز العقبات والمصاعب، التأخر بين الذات والموضوع، من بين خصائصها الصوفية.

قدم جيمس فكرة من خلال ربطه بين التجربة الدينية والصوفية واتعبر أن أساس الدين التجربة وذلك من خلال جعل من التجربة الدينية عبارة عن عالم منظور والذي يوجد فيه جزء غير منظور ويكون الوصول إلى هذا العالم الغير منظور عن طريق التجربة الصوفية، وهي اتصال بعالم فوق الطبيعة والذي جعل الحياة في التجربة الصوفية حدسا، وقد لاحظ ذلك من خلال التجربة على كبار الصوفية، اكتشف وجود عاطفة تدل على وجود كائن مخالف للإنسان يتصل به عن طريق اللاشعور، وهذا الأمر لم يستطع جيمس كشفه في بداية الأمر الذي كان يخيّل له على شكل هلوسة واضطرابات نفسية ولكن بعد هذه التجربة استطاع اكتشاف ذلك الشعور الخفي، اللاشعور في الانسان، وهذا ما ينتهي إليه جيمس في مقارنته السيكولوجية للدين هو الإقرار بأن هناك منطقة لا وعي في الإنسان تختلف من شخص إلى آخر وتكون أكثر عمقا عند الصوفيين والقديسين<sup>1</sup>.

على انها اعراض وهلوسة مرضية ولكن جيمس يرجعها الى منطقة اللاوعي الكامنة في النفس لذلك يرفض جيمس تأويل العقلانيين وبعض المحللين النفسانيين للتجار الدينية، ويعتبر التجربة الدينية ممارسة حية ناطقة . - الدين والأخلاق :

الأخلاق أو القيم الأخلاقية هي أمور إنسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان في عالمه الواقعي، فالأخلاق هي بمثابة مثلا أعلى للإنسان لا بد أن يسموا إليها ويتمثل بها، والمعلوم أنه لا يمكن تكوين فلسفة أخلاقية ووضع قواعد نظرية لها قبل أن تكون هناك تجارب فعلية، فمصدر القيم الأخلاقية هي الخبرة والتجربة مثلما يراها الفيلسوف جون ديوي: " كل واحد منا يساهم في بناء مدلول فلسفة الأخلاق كما يساهم في بناء الحياة الخلقية للجماعة الإنسانية وبعبارة أخرى أنه لا يمكن أن يكون هناك حق مطلق في الأحكام المطلقة الخلقية، كما أنه ليس هناك حق مطلق في المسائل الطبيعية حتى ينقرض ذلك النوع الإنساني"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمد عبد الحفيظ : الفلسفة والاعتقاد الديني ،وليم جيمس نموذجا ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية ، مصر

ط1، 2005، ص 168.

<sup>2</sup>وليام جيمس: ارادة الإعتقاد،ص80.

وقد كان هدف الأخلاق أن تجعل من العالم كتلة واحدة، لأنه إذا كان العامل غير موحد فإن ذلك يؤثر على القضايا الأخلاقية و تصبح أحكامها مضطربة، كما أنه لا بد من الابتعاد عن الشك الأخلاقي لأنه لا يعطي ثمرة الأخلاق، كما أن الشك الأخلاقي يعتبر مخالفا للفلسفة: "لا بد أن يبرع الفيلسوف في تحقيق هدفه ومثله، فمادة بحث ذلك الفيلسوف هي المثل التي يجدها محققة في العالم، والغرض الذي يبعثه هو إرادة وضعها في قالب متين وذلك هو مثاله"<sup>1</sup>، وقد تميزت الأخلاق بثلاث عناصر تمثل الفلسفة الأخلاقية ككل وهي:

المسألة السيكلوجية والمسألة الميتافيزيقية والمسألة المعيارية كل من هذا المعايير الثلاث لعبوا الدور في تأسيس المسألة الأخلاقية، فالنتيجة المتوصل إليها أنها لا يمكن تأسيس وإيجاد فلسفة أخلاقية، أولاً من حيث أنها المطلق الثابت الذي يتغير، لا بد على فيلسوف الأخلاق والمفكر الأول ان ينظر إلى الحقائق من كل زاوية والثاني، يتوصل إلى إيجاد أحسن العوامل من خلال جملة التجارب السابقة، ولكنه لا يقدر أن يخبر قبل التجربة أي العوامل الخاصة يكون ذلك العالم، إنه لا يعلم إلا أنه إذا أخطأ الهدف فإن الصوت الجريح سيعلمه بحقيقة الأمر.

يرى جيمس أن الأخلاق الواقعية لا تكون متأكد منها على أنها قطعية لأنه لا بد للأخلاق أن تنظر للجانب من العقائد والدين والميتافيزيقيا، لأن الأخلاق توجد في عالم الإنسان أي من صميم الحياة الإنسانية والتي تكون عبارة عن مجموعة من المثل المتداولة لديه، ولكن إذا بقيت هذه المثل كاختيار لدى الإنسان يسهل الأمر في التغلب عليها اما إذا أصبحت عبارة عن أوامر تفرض على الإنسان فإنها تجعل الإنسان يشعر بألم وتأنيب ضمير لأنه تجاوزها .

"إن العالم الخلقى المستقر المنظم الذي يبحث عنه الفيلسوف الخلقى، لا يمكن أن يكون كاملا إلا حين توجد قوة مقدسة ذات مطالب عامة وشاملة"<sup>2</sup>، يعود جيمس في فكرته ان تحقيق العالم الخلقى انه لا يوجد إلا حين توجد تلك القوة المثالية المقدسة، وهنا يتمكن الإنسان من وضع المثل ويكون منهجه

<sup>1</sup> وليام جيمس: إرادة الاعتقاد، ص 86.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 104.

صحيح في تقدير القيم وبهذا يصبح العالم المثالي الأبدي ممكن الوجود والتحقق، إذا كان موجود فلا بد أن يكون قد علم بالفعل بتلك الفلسفة الخلقية التي تبحث عنها، وعلم أنها النموذج الذي يجب أن نعمل للوصول إليه دائماً، ومن أجل تحقيق غاياتنا من إيجاد نظام أخلاقي واحد، أن نفترض وجود إله وأن تنمى انتصار الدين على اللادينية"<sup>1</sup>، هدف البحث عن نظام أخلاقي واحد وشامل عن طريق افتراض الإنسان وجود إله دائماً وأن يبقى إيمانه دائماً بانتصار الدين لأن افتراض وجود إله يحرر الإنسان من خوارطه القوية وهو شامل لدى عامة الناس فـجيمس يرى بأن الفيلسوف الأخلاقي ليس فيه فرق عميق مع الإنسان العادي، وهو لا يحدد ما هو خير للإنسان أو شر أو يخلق بينهما نوع من التحدي، "تدبر فقد وضعت بين يديك الحياة والموت، والخير والشرف اخترنا الحياة لتحيها أنت وأعقابك"<sup>2</sup>، الإنسان في حياته له الحق أن يختار الطريق الذي يناسبه وأن الإنسان المتحدي بمثابة شخصية ومملكة فردية كما أنه إذا اتجه نحو الفلسفة فإن اختيار والانتقاء يمثلان مظهر من مظاهر القدرة الشخصية أو عدمها على أن يحيا الإنسان حياة خلقية.

"ذلك ضمن عملية لا يمكن أن يخلصنا منها أي مقدار من الدروس النظرية أو الكتب العلمية ولا يوجد المخلص لا يوجد مكان آخر إنه ليس بعيد عنه في السماء ولا البحار ولكنه شديد القرب منه والالتصاق به بل هو أقرب إليه من حبل الوريد إنه قلبه"<sup>3</sup>.

لا الدروس أو الكتب يمكن أن تخلص الإنسان من الفعل الخلقى وحتى لا فرق بين العالم والجاهل لأن كلاهما على نفس الطريق فإن الشيء الوحيد، الذي ينفذ هو تلك الرغبة النفسية النابعة من القلب والتي هي مصدر ومحفز الإنسان على الفعل الخلقى.

تعدد مفهوم الأخلاق لدى جيمس ذات الارتباط الوثيق بمذهبه التعددي، بحيث تأتي فرضية الفائدة والنفعة والنجاح والمرض من خلال الحكم على الأخلاق ومعاني الفضيلة ويأتي الإنسان معيار الأخلاق، فالفرد وحده هو الذي يحدد مثله وقيمة ومبادئ وفقاً لحاجته وأغراضه ورغباته، فالقيمة العملية هي المحك الحقيقي للأخلاق، ومن هنا تصبح النسبة هي العلامة المميزة للأخلاق .

<sup>1</sup> وليام جيمس: إرادة الاعتقاد ، ص 106.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص 106.

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص 108.

إن الدين بمعنى تسليم الذات والإذعان، والأخلاقية بمعنى العناء الذاتي، من خلال هذين القولين للفيلسوف البراغماتي وليام جيمس في محاورته عن الدين قد بين ربط البراغماتية بالإنسان والدين والأخلاق كذلك ربطهما بالإنسان باعتبار أن الإنسان يلعب الدور الأساسي في ذلك فالإنسان في الدين يسلم روحه ذاته، وفي الأخلاق يسلم ذاته فهما يشتركان في وحدة إنسانية. عالم أو الجاهل على السواء إلا في تلك الرغبة الصامتة أو عدم الرغبة الناشئة عن صفاته النفسية .

## الفصل الثالث :



### إشكالية الدين كتجربة براغماتية

العناصر :

الطبيعة الدينية



النقد



الفصل الثالث: إشكالية الدين كتجربة براغماتية

المبحث الأول: الطبيعة الدينية

الدين كتجربة شخصية:

"اهتمام جيمس بالتناج يدل على كون الاعتقاد بوجود الله يجلب نتائج مرضية تساعد الانسان على تحسين وضعيته الواقعية من جهة، وارتقائه بالثقة النفسية من جهة أخرى"<sup>1</sup>

يرى جيمس بأن الإنسان من خلال ارتباطه واعتقاده بوجود إله يساعده ويسانده ويجلب الخير له والسعاد والايان والطمأنينة، إن هذه الصفات ترتبط عنده بالعمل من خلال الواقع الذي يعيش فيه الانسان وهذا ما نجده ظاهرا في التجربة الدينية لأنها لا تشكل جوهر المعرفة وذلك لأن تعدد الأديان تختلف وتعدد مع الإنسان المتدين، وهذا ما يلاحظ على جيمس أنه لم يكلف نفسه في البحث عن وجود الله بل ذهب إلى عكس من ذلك إلى دراسة الجاني النفسي وعلاقته بالله والذي يسمى "سيكولوجيا الاعتقاد" وهذا ما عرف به جيمس العالم النفساني الديني، كما أنه يرفض فكرة الواحدة فهو يؤيد التعددية وهذا ما نجده في فكرته تعدد الإله والكون، ويكون بذلك منهجه عملي تعددي.

"أنت بروحك وقلبك المريضين الكل واحد في الله... ومع الله وبالله كل شيء جميل سواء كان يدور في عالم الظواهر الفانية المتناهية فاشلا أو ناجحا"<sup>2</sup>، ربط جيمس الحياة بالواقع من خلال تجسيد فكرة لدى الفرد بضرورة الاعتقاد لدى الانسان بأن يعيش حياته دون وجود عوائق ومخاوف ومن خلال الاعتقاد يتولد الايمان الذي يساعده في ذلك .

<sup>1</sup> مؤمنون بلا حدود: هاجر موحنيطو: فردانية التجربة الدينية، وليام جيمس نموذجا، قسم الدراسات الدينية، 31 ماي

www.mominoun.com 2014

<sup>2</sup> ) (Williams James: le pragmatisme et la religion: in le pragmatisme, traduction Français, introduction: Bergson (h): éducation Flammarion: 1947

هاجر موحنيطو: فردانية التجربة الدينية، P263.,

وهو يؤكد من خلال هذه الفكرة أن الإنسان الذي يستطيع أن يولد نفسه مرة أخرى ويخلصها من كل أفعال البؤس والتشاؤم، فهو هنا يقوم بتحسيد العمل البراغماتي للإنسان، من خلال الإيمان بالتغير والتطور لأن جيمس يرى أن كل ما هو اعتقادي في الواقع هو يعد عمل انساني<sup>1</sup> فالنخبة الصوفية لا تعكس من منظور العمل البراغماتي ابتعادا عن الواقع الذي يعيش فيه الفرد ولا تجسيدا للعزلة في الحياة بل إن التصوف يبرز فلسفة الحياة<sup>1</sup>

الهدف الذي تريد بلوغه التجربة الصوفية عن طريق العمل البراغماتي هو أنها تظهر في الحياة الواقعية للإنسان في حياته كما أنها تعمل على جعل النفس بالارتقاء عن طريق الوجدان، والتي تبلغ بها سعادتها، والتي لا يستطيع الإنسان وصفها "تبنى التجربة الدينية على مبدأ الفردانية المؤسس على اختلاف أنواع الفعل، بوصفها موضوعا حيويا،... إن التجربة الدينية ترتبط بشيء واقعي ما دمنا بحاجة لواقع عملي"<sup>2</sup> أن التجربة الفردانية ليست منعزلة على الواقع بل هي مجسدة لمعرفة الواقع كما أنها تختلف باختلاف الأفعال لدى الإنسان وهي لا تكون في الذهن بل إننا نلمسها في الواقع العملي، والذي يدخل داخل نطاق المتعة ومن خلال هذا التصور أعطى جيمس تصورا للتجربة الدينية باعتبارها حالة نفسية لا تنفصل عن الواقع المعيش العملي، لأنها مرتبطة بفعل وسلوك الانسان في الحياة، "فالطريقة الوحيدة التي نستطيع من خلالها الحكم على التجربة الدينية باعتبارها صحيحة تكمن في اختيار الاعتقادات الفردانية الفعالة، ومدى نجاحها وفاعليتها في الحياة"<sup>3</sup>، فلا يمكن ان نحصر كلمة الدين في مبدأ واحد او ماهية معينة، مصطلح الدين يعبر عن الشمولية. العام، ولكن جيمس يرى بان الدين يعد امر شخصيا وفرديا، من الجانب العملي، وقد ربطها بما يسمى بالفعل المنعكس أي ان الافعال التي يقوم بها الانسان ناتجة عن عمل المراكز العصبية، وكل عملية ذهنية يقوم بها الانسان تحمل انطباعين الاول داخلي والآخر خارجي، الاول يتمثل في الحس والثاني يتمثل في الفعل الحركي، على هذا المنطلق في ان: "يتصور مبدأ التأليه على انه شخصية توجد خارج شخصيتنا نحن، وترتبط بنا في تجاربنا الدينية، وتطلق قوانا، وتساعدنا على ان نكيف انفسنا مع العالم بثقة، فمبدأ التأليه يرضي طبائنا العقلية

<sup>1</sup> هاجر موحنيطو: فردانية التجربة الدينية، P263.

<sup>2</sup> المرجع نفسه

<sup>3</sup> مؤمنون بلا حدود: فردانية التجربة الدينية. www.mominoun.com

والعاطفية بطريقة لا يحتمل ان تقوم بها اية نظرية منافسة مثل المذهب المادي ،ومذهب وحدة الوجود ،او المذهب اللاإرادي<sup>1</sup> ،فالتجربة الدينية تجربة شخصية ، تكون نابعة من ارادة الانسان فلا تكون عن طريق القوة ، وهي تختلف من شخص الى اخر ،باعتبارها فردية وتكمن لدى كل فرد، كما انه لا يمكن ان يتعامل الانسان مع الدين على انه مرغم عليه ، او انه بعد سيكولوجي يؤثر على حياته ،لابد للإنسان بان يشعر بان الدين هو بحث في ذات وعلى انه شكل من اشكال الحياة الفردية ، التي من خلالها يشعر الانسان بتغير في حياته يقول ايميل بوترو<sup>2</sup> من الواضح انه لكي يصبح الدين شكلا من اشكالا الحياة البشرية ،فان على الانسان ان يكون جديرا به<sup>2</sup>

#### الدين كتجربة براغماتية:

"ترك جيمس كتاب إرادة الاعتقاد بوصف الفرد في فلسفته من حقه أن يعتقد فيما يشاء، إذا كان ذلك نافعا له، لكن الاعتقاد عند جيمس مرتبط بمسائل لا يستطيع أن يقف منها موقف المتفرج أو موقف اللامبالاة....ولكن الالحاد سيصنع نورا من حولنا"<sup>3</sup>

جعل الحرية للفرد في أن يعتقد فيما يشاء ما دام هذا الاعتقاد يعود على الانسان بالمنفعة ويكون هذا الاعتقاد عن طريق الحرية والإرادة ،فالإنسان حر فيما يعتقد، ولذلك فحرية الإنسان مرتبطة بوعيه كمنطلق لاستثمار هذه الحرية بالممارسة الفعلية في واقع الحياة المباشرة<sup>4</sup> ، "آمن بالإنسان كذات قادرة على الخلق والابتكار والابداع واعتبر الحقيقة ما يصنع الإنسان بأفعاله"<sup>5</sup> ، إن الحرية تعتبر المحرك الفعلي للإنسان فهو

<sup>1</sup>كلي رايت ، وليم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمود سيد احمد ،تقديم ومراجعة:امام عبد الفتاح امام ،الطبعة الثانية ،المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ،ص497

<sup>2</sup> ايميل بوترو :العلم والدين ، مرجع سابق ص 244

<sup>3</sup>محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني، ص168.

<sup>4</sup>ورد معزي: النزعة الانسانية في فلسفة وليم جيمس، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008/2007، ص57.

<sup>5</sup>المرجع نفسه، ص57.

يستخدم حريته كمنفعة تعود عليه بالإيجاب، والتي تجعل منه إنسانا جيدا يستطيع صنع نفسه من خلال إيمانه بحرية وحرية إرادة الإنسان من المعتقدات الراسخة القوية في فلسفة جيمس<sup>1</sup>

يقول جيمس "المطلق لا يغيب شيئا إلا مانح الإجازات وطارد الخوف الكون"، يكتسب الدين معنا عندما يؤدي إلى التأثير على حياة الإنسان ويجعل الإنسان يكتسب الثقة والراحة "لولا الدلالة العملية لكانت الكلمات الإله، الإرادة الحرة، الخلق لا معنى لها فلديها أي هذي الكلمات معنى خاص هو أنها تعد بوجودها عالم أفضل مما يعيش فيه"<sup>2</sup>، ربط جيمس الدين بالمنفعة التي تعود إلى كل فرد وهذا يظهر من خلال ظهور فكرة التعدد عنده فهو يرفض الواحدية بل يؤيد ما يسمى بالتعددية خاصة تعدد الأديان

أنا ننجي من وراء اتباعه خيرا كثيرا نحتاج إليه في حياتنا، ونسخر بالإعراض عنه، ذلك الخير الحيوي ويقدم الدين نفسه ثانيا على أنه تغير ملزم ضروري لأن ذلك الخير الحيوي مرتبط به ومتوقف عليه فلا يمكننا التخلص من المشكلة ببقائنا في حالة شك وتردد"<sup>3</sup>، يقدم الدين نفسه على طريقتين وفي كلتا الطريقتين يعتبر أساسي في حياة الإنسان وضروريا، فالأمر عند المتدين يكون بين أمرين أولا يرفض الاعتقاد وخوفا من عدم الوصول إلى الحقيقة، ذلك بسبب شكوكه وتردده، فالقول إن الشك في الفروض الدينية هو واجبا حتى نكشف براهين كافية تثبت عن صحتها، هو بمثابة القول أن الاستجابة لمخاوفنا من كون الفروض الدينية خطأ أولي وأحكم من الاستجابة لأمالنا في صحتها فليست المسألة الدينية إذن مسألة القوة العاقلة ضد الميول ولكنها القوة العاقلة مع أحد الميول ضدها مع ميل آخر، إن الشك في غالب الأحيان هو طريق إلى الحقيقة فالشك يدفع بالإنسان الذي يستسلم لمخاوفه في الفروض الدينية فلا يستطيع أن يتقدم من الحقيقة والقضاء على الشكوك والمخاوف لذلك لا بد من مقابلة الميول مع ميل آخر يكون ضدها.

فجيمس جمع بين الفلسفة البراغماتية والتجريبية الجذرية فالإنسان المتدين استمد تجاربه الدينية من خلال الشعور بتجربة أقوى منه وهي أكمل منه وتتوفر فيها ما لم تتوفر في الإنسان المتدين فلجأ إليها من أجل الاحتماء بها.

<sup>1</sup>، ورد معزي: النزعة الانسانية في فلسفة وليم جيمس ص 58

<sup>2</sup>وليام جيمس: البراغماتية، ص 341

<sup>3</sup>: وليم جيمس، العقل والدين، مصدر سابق، ص 30

إن التجربة الجذرية ترتبط بالفعل والعمل، وقد قام جيمس بتفسير هذه التجربة مثل باقي التجارب القائمة على المنفعة والفائدة التي تعود بالفائدة على الإنسان المتدين أو المعتقد "إذا كان الدين حقا ولم تكن براهينه كافية" فإنني لا أرغب أن أضيع الفرصة طبعاً على رغبتين في المخاطرة وفي العمل على افتراض أن ميولي النفسية التي تنظر إلى العالم نظرة دينية ميول ملهمة ومحقة<sup>1</sup>، على الأسس البراغمتية إذا كان فرض الله يعمل إكفاء ورضى أوسع معاني الكلمة فهو فرض صحيح"<sup>2</sup>

إن التجربة الدينية ترتبط بالمنفعة بالإنسان المتدين في اعتقاده لديه الحرية في اعتقاد فيما يشاء وبإرادته ولكن لا بد أن يكون هذا الاعتقاد الديني قائم على العمل والمنفعة من خلال اعتقاد إنسان في إله ما وهو يمنحه الراحة وجلب السعادة وكأن الإله هو ما يحتلم إليه المتدين في كل الأمور، كما لمح جيمس إلا ان الإنسان في اعتقاده لا بد له أن يحافظ استقلاله الذاتي وحرية الشخصية، وعلى الإنسان أن يواجه شكوكه ويقبل على الدين حتى وإن غابت الحقائق وإلا أنه سوف يضيع في شكوكه "يحاول أن يجعل الإله يستخرج منه إما بالكراهة أو بالرضى، اعتراف منه به ولم يعترف به ابدا فإنه يضيع فرصة الوحيدة التي يمكن أن يتعرف بها للإله"<sup>3</sup>، ينه هنا جيمس على المتدين أن يلغي فكرة العقل وأن يتيح الوجدان والعاطفة وخاصة الإرادة الحرة" إن العقل الخاص مع رفضه الاعتقاد يكون جزء محض ويصبح تدخل بعض طبائعها الوجدانية ضروريا وحاجة يدعو إليها المنطق، ولذلك لا أجد ما يدعو إلى قبول طريقة الشك في البحث عن الحقيقة ولست أوافق على عدم اشراك الرادة في الموضوع<sup>4</sup>، يرفض جيمس الشك في البحث عن الحقيقة ويدعو إلى وجوب إشراك الإرادة في الاعتقاد.

### الله من منظور جيمس

تطرق جيمس إلى معضلة تحوم وهي مشكلة الإله (ممكّنات العالم)، والتي من خلال ما سنرى كأنه لم يحسم فيها بشكل مطلق فهو يرى بأنه من حق الإنسان أن يؤمن بوجود إله ولكن ليس بالضرورة أن تكون أدلة

<sup>1</sup> مؤمنون بلا حدود: الدين كتجربة الاعتقاد بإرادة، وليم جيمس، الرباط، المملكة المغربية، 2016، ص 15.

www.mominoun.com

<sup>2</sup>: وليم جيمس، العقل والدين ، ص 31

<sup>3</sup> وليم جيمس: البراغمتية ، ص 347

<sup>4</sup> وليم جيمس: العقل والدين ، ص 32، ص 45.

تثبت وجود الله، تكفي الإرادة في الإيمان والاعتقاد بوجود إله "أن المعضلة برمتها تدور براغماتيا حول فكرة  
ممكنات العالم، ذلك أن المذهب العقلي فكريا يتوصل لمبدأ المطلق للوحدة، لا مكان فيه للحقائق أو  
الوقائع المتعددة." و عاطفيا تراه كوعاء يحتوي ومحدد يحدد الممكنات<sup>1</sup>، إن الإنسان في تحديده لمسألة وجود  
الإله يبقى بين ما هو عقلي وعاطفي مما يصعب الأمر عليه.

إن المرء ليرى عند هذه النقطة "أن الفرق الديني العظيم يكمن بين الناس الذين يصرون على أن  
العالم يجب أن ينال الخلاص، وسوف ينال الخلاص وأولئك الذين يؤمنون بالاعتقاد بأن العالم ربما ينال  
الخلاص أو من المحتمل أن ينال الخلاص"<sup>2</sup>، جيمس يرى بأن نقطة الاختلاف بين الناس في الدين حول ان  
العالم لا بد له من قوة أزلية مفارقة للإنسان تحدث الخلاص في الكون وهناك من سيسلك في أن هناك قوى مفارقة  
سوف تحدث الخلاص للكون، وهذا الخلاص براغماتي يعني أنه هناك ما يخلص العالم وموجود فعلا كما زاد عدد  
الموجود منها، قلت الظروف التي تستطيع أن تجدها وراء رسوخ الأساس الذي تقوم عليه إمكان الخلاص

كما يرفض جيمس فكرة المحايدة في الدين، وأن يكون العقل غير مكترث ومحاييد في الدين إن أي  
شخص يتظاهر بأنه محايد إنما يدمغ نفسه هنا بالعمق والتمويه الكاذب والتدليس

"كلنا توافقون فعلا وحقا إلى خفض قلق الكون إلى الحد الأدنى، ونحن نستشعر التعاسة وينبغي لنا  
أن نستشعرها عندما نعتبر الكون كله معرض لكل عدود مباح لكل تيار مدمر للحياة<sup>3</sup>، إن الإنسان يسعى  
إلى تحقيق السلم والأمان في الكون والخفض من حدة القلق، فالإنسان وحده ضعيف في تحقيق الأمن للعالم فقوته  
لا تكفي لذلك، كما انه ممكن للإنسان أن يدمر الكون، لذا لا بد من الإيمان بوجود موجود أقوى يحمي هذا  
الكون ولكن هناك من لديه نظرة تشاؤمية يرى بأنه لا يوجد ما يسمى بخلاص العالم وأن هذا الأمر غير ممكن  
وهنا ظهر مصطلح الارتقائية، وهو مذهب أن العالم يرتقي ويحسن بمساعدة الإنسان\* .

<sup>1</sup>وليم جيمس: البراغماتية ، ص328

<sup>2</sup>المصدر نفسه، ص328.

<sup>3</sup>المصدر نفسه، ص332.

\* وليم جيمس : البراغماتية ، ص 333

جاء كل من مصطلح التشاؤم والتفاؤل (الارتقائية)، متناقضين كما أن كل منهما برز في اتجاه الفلاسفة الأوروبية احتضنت الارتقائية، أما مصطلح التشاؤم فبتناه شوبنهاور وغيره، غير مذهب البراغماتية احتضن ما يسمى بالارتقائية على أساس الخلاص، "من الواضح أن البراغماتية لا بد وأن تنجح نحو الارتقائية إن بعض شروط العالم موجودة بالفعل والبراغماتية لا تستطيع أن تغمض عينيها من هذه الحقيقة"<sup>1</sup>

جيمس يرى بأن الوجود المفارق لنا هو متعدد وليس واحد، فالاختلاف الموجود بين الناس هو مصدر الوجود "ومن ثم فإن الوجود ينمو تحت كل أنواع المقاومة في عالم التعدد والكثير، ومن مرضاة إلى مرضاة وملاقة عند نقطة خلاف إلى ملاقة أخرى"<sup>2</sup>.

"إن خير الموجودات هو أكثرها أبدية وأعلاها مدلولاً وأطولها بقاء، وثانياً: من الخير لنا في حياتنا هذه وفي الحياة الأخرى أن نؤمن من بصدق القضية الأولى القائلة بوجود قوة كاملة وسرمدية هي الأصل في نشوء الكون، وهي موضوع المعتقدات الدينية"<sup>3</sup>

يرى جيمس أن الموجودات الأزلية هي الأفضل والأخير وأن على الإنسان أن يؤمن بوجود تلك القوة الأزلية الأبدية المتمثلة في الإله وهي التي تعتبر أساس وجود هذا الكون، "فالدين نافع وهو في بعض الأحوال مما لا يمكن استبدال غيره به، فماذا يجب أن نطلب أكثر من ذلك لنقول أنه حق فإذا كانت الحقيقة في نهاية الأمر ما هو موجود ما يبقى ويولد فالدين حق كما أن الاعتقاد في وجود الكائنات في القوى الطبيعية حق"<sup>4</sup>، إن تصور جيمس للإله في صورته البراغماتية يعتبره منفعة بالرغم إن كان موجود أو غير موجود فهو يحقق للإنسان منفعة ولكن ما دام الدين مرتبط بالإله فإن جيمس يرى بأن الدين كذلك منفعة ولكن هل هذا الدين أو الإله هو منفعة صادقة أو كاذبة في رأي جيمس؟ "فلا جناح علينا ان نعتقد استناداً إلى براهين التي تقدمها الخبرة الدينية، أن هناك قوى عليا فوقية موجودة، وهي تعمل لكي تخلص العالم.

<sup>1</sup> وليم جيمس، البراغماتية، ص 333.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: ص 338.

<sup>3</sup> وليم جيمس العقل والدين، ص 30.

<sup>4</sup> بوترو إيميل: العلم والدين، ص 248

" إن البراغماتية يمكن أن تسمى دينية، إذا سمحتم بأن الدين من الممكن أن يكون تعددي أو مجرد مذهب ارتقائي فحسب؟"<sup>1</sup>، إن جيمس لم يقف على موقف محدد حول الإله فهو يمنح الفرد الحرية فالاعتقاد، ووجود قوى تخلص العالم وفي الوقت نفسه يرى بأن الموجود أو الإله هو مجرد كذبة نافعة فهو لا يستقر على موقف محدد في تحديد موقفه، "ومع ذلك يوجد الله كما يرى جيمس في العالم بمعنى واقعي، أي أنه يوجد مستقلاً عنا مع أنه يكون مألوفاً لنا ولمثلنا العليا"<sup>2</sup>

وكما تم الذكر أن فكرة الله عند جيمس تقوم على أساس المنفعة العامة، وقد كتب جيمس إلى صديقه توماس ديفداس: "ليزيد كل يوم عجز عن أن يعيش بغير الله"<sup>3</sup> إن جيمس يرى ان قيمة الله تكمن فيما يحققه من منفعة لناس من خلال الالتحام به واللجوء إلى الله في تجاوز مصاعبنا وتحقيق السعادة وان يعيش الإنسان في سكون وهدوء روحي، كما لا يمكن أن نبرهن على وجود الله عن طريق العقل الذي يعتمد على الدليل الغائي فهو لا فائدة منه، لأنه يربط إثبات وجود الله يتم عن طريق الإيمان الذي ينبع من الوجدان، وقد تأثر باسكال في فكرة إرجاع فكرة الاله النفع بحيث "يرى باسكال أن الله إما أن يكون موجود أو غير موجود... إن الأمر أشبه بقطعة نقدية ذات وجهين لا تستطيع ان تثبت أحدهما على حساب الآخر"<sup>4</sup>، من هذا المنطلق جعل باسكال الإيمان بالله عملية براغماتية وذلك من خلال أنه اختار وجود الله على عدم وجوده، فإذا تحقق له منفعة من وجوده وهو مستفيد وإذا لم يتحقق فقد قام بتجربته ولم يخسر شيئاً، ولقد كان جيمس أخذ هذا المتصور الباسكالي من خلال تصوره لله وجعل وجود الله مرتبط بالمنفعة، وإلغاء دور العقل في وجود الله.

لكن لولا لاحظنا فكرة باسكال لوجدنا أن باسكال تقوم فكرته على المخاطرة والمغامرة وكأنها قائمة على الخط وفي كلتا الحالتين لا يخسر شيئاً ولكن هذه الطريقة تثير القلق في نفس الإنسان، بالرغم من أن جيمس أيد فكرة باسكال من ناحية جعل من الاله منفعة إلا أنه عارضه في فكرة الرهان لأن جيمس يرى بأن الإيمان بالله هو

<sup>1</sup> وليم جيمس : البراغماتية ،ص 349

<sup>2</sup> كلي رايت وليم : تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص 498

<sup>3</sup> هنتر ميد : الفلسفة انواعها ومشكلاتها ،ترجمة ،فؤاد زكرياء ، مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر ، القاهرة مصر ،الطبعة 2،

1975،ص 389\_390

<sup>4</sup> خالد عياشة: نقد الميتافيزيقيا في الفلسفة الأمريكية، وليم جيمس نموذجاً، ص81

السبيل الذي يسلكه الإنسان من أجل القضاء على القلق والخوف وتحصيل السعادة والطمأنينة، يقول جيمس "يشعر المرء بأن العقيدة الدينية إذا عبرت عن نفسها هكذا بلغة المراهنين فقد رمت بآخر بسهم من سهامها"<sup>1</sup>، وكما أن جيمس يرى بأن الإيمان بالله هو يكون نابعا من داخل كل إنسان وليس عبارة عن إله مستقل خارجي عنا، "إله جيمس داخلي بوصفه شخصية حقيقية متناهية توجد في الزمان أعني أنه ذات إلهيته أو هو بالأحرى أنت"<sup>2</sup>

ويشرح جيمس فكرته عن الله من خلال أن الله هو المتناهي وأنه لديه القدرة على الإنسان ولكن قدرته هذه لا تسع كل شيء في الكون، وهذا إن دل يدل على العجز الإلهي عن تحقيق كل سنن في الوجود<sup>3</sup>، وهذا ما يدفع بجيمس يرى بأن الإله يستمد من الإنسان عظمة وجوده ومقومات بقاءه، ما يمكن استنتاجه أن الله عند جيمس لا يعني أنه لا يؤدي إلى أي خير، فهو مصدر الخير والسعادة والطمأنينة كما أنه يعمل على تشكيل عالم أعظم للإنسان، ومدام الإنسان يعتقد في وجود قوة أعظم منه تساعد ويلج إليها في كل شيء لا بد له من الخضوع والانقياد لتلك القوة، فجيمس يرى بأن الله ليس، الهدف منه تحقيق السعادة والخير ولكن الله فما يحققه لنا من منفعة، وهو يؤكد على تعدد الإله مدام أن الدين الحقيقي هو يعود إلى الدين الشخصي أي دين كل ما يعتقد به كل شخص، فكذلك الإله هو متعدد وليس واحد.

### العلم والدين:

"من غير المجدي في رأي جيمس الاعتماد على العقل والعلم في حل المسائل العقائدية الهامة كقضية الإيمان بالله فمثل هذه المسائل لا يمكن حلها إلا بالاعتماد على الشعور والإرادة"<sup>4</sup>، كما علمنا أن جيمس رفض أن يكون الإيمان بالله قائم على العقل والعلم بل على الشعور والإرادة يكون نابعا من الوجدان الشخصي ولذلك فإن جيمس لم ينكر دور العلم ولكنه عالج قضية الدين في نطاق واسع، انطلاقا من أن للدين

<sup>1</sup>وليم جيمس: العقل والدين ، ص 67 ..

<sup>2</sup>زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، د.ط، ط2، 1982، ص158

<sup>3</sup>خالد عيايشة ، نقد الميتافيزيقا في الفلسفة الأمريكية ،ص76.

<sup>4</sup>جماعة من أساتذة سوفيات: موجز تاريخ الفلسفة، تر: توفيق سلوم، دار الغرابي، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص626.

طريقة وللعلم طريقة فهما لا يلتقيان كما أن كل من العلم والدين لا يكون بديل للآخر، و لم يعتبر العلم معيار يحكم به على الدين، " لكن جيمس لم يعتقد أن الدين هو العلم أو أن العلم نقيض الدين، فلا طرف يمكن أن يكون جق' جق' بديلا للطرف الآخر، فالدين دربه وللعلم طريقته الخاصة أيضا<sup>1</sup>."

إن العلم والدين يساهمان في بناء الكون الذي يلائم الإنسان وكل منهما لديه الميزة التي تحسن من حال الإنسان سواء من الناحية العلمية أو الدينية، فكل منهما يعتبرهما جيمس شفاء للإنسان ومفتاح للاطلاع على الكون ولكن على من يحسن استخدامهما عمليا مثال ذلك، "لقد وهب العلم للإنسان التلغراف والإضاءة الكهربائية، وتشخيص الأمراض ونجح في الوقاية من بعض الأمراض وعلاجها، كما يضمن الدين لبعض الناس طريق علاج النفس، بالصفاء والاتزان الخلقي والسعادة ويقينا من بعض الأمراض التي يقينا العلم منها"<sup>2</sup>، كما ان كلا منهما يخدم مصلحة الإنسان ومثال ذلك على الدين والعلم، من خلال أن علماء الرياضيات يقومون بمعالجة المسائل العددية والهندسية بطريقتين الأولى عن طريق التحليل والثانية عن طريق الجبر فيرى جيمس لو تطبق هذه النظرية على كل من العلم والدين، من خلال ان كل واحد منهما يبصر للأشياء بجهة مخالفة للآخر ولكن تكون في خدمة الإنسان في الوقت نفسه.

كل من العلم والدين يقدمان منفعة، فتعدد النتائج في العلم المؤدي إلى نسبية موجودة في التجارب الدينية، ونحن نعلم أن التجارب الدينية ذاتية ومتعددة فهذا يعني انها نسبية.

"إن نقطة البداية في الدين هو المحسوس... ونقطة البداية في العلم هي المجرد"<sup>3</sup>، فالدين ينطلق من اللاشعور والعاطفة التي تشتمل على الفكرة من خلال العاطفة للمشاركة في حياة الكون، أما بالنسبة للعلم الذي يعتبر نقطة بدايته المجرد أي الواقع وهذا الاختلاف يدل على وجود فوارق بين العلم والدين وأنه لا يمكن أن يكون أحدهما مكان الآخر أو يكون بديلا للآخر، فالإنسان لا تتوقع منه أن يترك المحسوس ويرضى بالمجرد، وقد شبه جيمس ذلك من خلال هل الإنسان تستطيع أن تطلب منه أن يقتنع بقائمة من الطعام وفي

<sup>1</sup> محمود عبد الحفيظ: الفلسفة والنزعة الإنسانية، دار الوفاء، ليدن الطبع والنشر، الاسكندرية مصر، 2006 الطبعة 1

ص 129

<sup>2</sup> ايميل بونزو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص 255\_256

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 258

الوقت نفسه توجد أمامه طعام حقيقي معد، "فإذا كان الإنسان يستخدم العلم فإنه يحيا بالدين، ولا يمكن أن يحل الجزء محل الكل<sup>1</sup> ومعنى ذلك من قول جيمس لا يمكن للعلم أن يحل محل الدين، فهو يعارض من يرى بأن الدين مجرد مرحلة ميتافيزيقية مضت لا بد أن يحل محله العلم.

أن نقطة الاتصال بين العلم والدين تكون من خلال الصلة بين الأنا الشاعرة وغير الشاعرة هي التي تكون همزة الوصل بين الدين والعلم، من هذا تعتبر الانطلاقة أو البداية المشتركة بين كل من النشاطين الديني والعلمي، وتزويد الشعور عن طريق اللاشعور، بحيث ان النشاط العلمي يخضع للاشعور الى الشعور، عن طريق اضافة صبغة من قوانينه، فمنطقة اللاشعور تجعل رجل الدين له صلة بوجود اعظم منه من اجل تحقيق الشعور. وهذا ما سلم به علم النفس بان النفس الانسانية في منطقة اللاشعور، تكون على صلة بكائنات اعظم منها. لقد ذكر جيمس ان للتصورات الدينية حول اللاهوت، فهي في تكوينها تكون متناسقة منها النظريات العلمية لذلك العلم ليس عليه أن يعيب على اللاهوت في طريقة محاكاته.

"يرى وليام جيمس أن التجربة الدينية نافعة وأصيلة كالتجربة العلمية إن لم تكن أكثر مباشرة وحسا وسعة وعمقا، وأكثر من ذلك فهي مفروضة من قبل التجربة العلمية ولها منذ الآن نقطة ارتكاز في العلم ذاته بفضل النظرية النفسية عن اللاشعور"<sup>2</sup>، يعتبر الدين نافع وأصيل مثلما يعتبر العلم نافع، بالرغم من الدين لا يكون ظاهر بصفة مباشرة إلا أننا لا يمكننا إغائه باعتباره لا ينفع لشيء، وأن نحل العلم محله فكل منهما يعتبر أساس حياة الإنسان فالعلم يمثل الحياة الواقعية والدين يمثل الحياة المتصلة بالعالم الخارجي، "والدين ينمو بنفس طريقة العلم"، لذا اعتبر جيمس أن كل منهما علم مستقل بذاته وقائم بذاته، وإن التجربة الدينية عند جيمس لم تفقد حسها العلمي وهذا يظهر من خلال تصوره للدين.

### علم الأديان

من خلال ما تطرقنا إلى علاقة بين العلم والدين التي عالجها وليم جيمس تطرق أيضا إلى علم الأديان والتي سبقنا الذكر بأن جيمس من خلال معالجته للظاهرة الدينية لم يفقد حسه العلمي بل استعمله في الظاهرة

<sup>1</sup> ايميل بونزو: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، 259.

<sup>2</sup> المرجع انفسه، ص 260.

الدينية وخاصة في تصوره للدين ودراسته لعلم الأديان بحيث استعمل العلم، أن التفكير في علم الأديان يكون من خلال منهج علمي، فيضع جيمس قاعدة أنه لا بد في علم الأديان أن يصل إلى ما يسمى لمبدأ عام الذي يصل إليه العلم .

"حتى لمن لا يكون متدينا أن يقبل نتائج هذا العلم في ثقة، مثلما يتقبل العميان وقائع البصريات وهذا يفيد مرضه على خلع بعد موضوع على علم الأديان، وحرصه على تقديم فهم مغاير لفهم اللاهوتيين والعقلانيين في آن واحد"<sup>1</sup>، يرى جيمس حتى الإنسان الغير متدين لا بد له أن يؤمن بنتائج علم الأديان وبكل ثقة وحتى بدون أن يطلب دليلا على ذلك أو برهان، وحاول أن يقدم لعلم الأديان تصورا مغاير للاهوتيين والعقلانيين معا.

وهذا يظهر عندما أقر جيمس على نفسه من خلال قوله لست لاهوتيا ولا ميتافيزيقيا، "ولكنه ظل أمينا لمنهجه العلمي وليس ادل على ذلك من انه يريد لعلم الأديان الذي يمثل لديه الديانة الحقيقية أن يربطه بالعلم الطبيعي"<sup>2</sup>، ربط الدين الحقيقي الذي هو علم الأديان بالعلم الطبيعي وهذا يدل على أن جيمس لم يتغلب على منهجه العلمي في الدين بل على العكس من ذلك ربط العلم الطبيعي بالدين من خلال النتائج التي يتوصل إليها العلم وخاصة مثل في العلوم التجريبية النتائج تكون غير يقينية ونسبية، كذلك علم الأديان مدام مرتبط بالعلم فما أراد قوله جيمس أن نتائجه ليست كاملة وأنها تتميز بالنسبية وتقريبية فقط "وعلم الأديان الذي يقول به لا يدعي أن يحيط بالمطلق ويقوم على مقدمة العلم وأسسها الله والصلاة"<sup>3</sup>

"ينظر لعلم الأديان أنه لا يتصف بالمطلق في نتائجه وأنه لعلم الأديان يقوم على مقدمة العلم والتي تتمثل فيما يلي: "نتيجة لذلك تستبعد ما في الأديان من أساطير وخرافات، وعقائد متحجرة جامدة"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> خالد عيايشة: نقد الميتافيزيقا في الفلسفة الامريكية، ص 87

<sup>2</sup> محمد عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني ، ص 179.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 189

<sup>4</sup> محمود زيدان: وليم جيمس ، ص 157.

الأخذ بمنهج تجريبي محض أي أن التجارب الدينية المعاينة هي موضوع دراستنا ومنها نستنتج النتائج وانطلاقاً منها نفهم وندرك العام بينهم<sup>1</sup>

"مقدمة العلم تتمثل أولاً من خلال أولاً القيام بجمع الأفكار الصحيحة الموجودة والمشاركة بين جميع الأديان وكأننا نقوم بفحص للأفكار وتنقيتها من عوامل الشوائب المتمثلة في الأساطير والخرافات وغيرها من الأفكار الخاطئة، ثانياً وهي إخضاع التجارب الدينية إلى منهج تجريبي لأنه لا يمكننا أن نستنتج النتائج دون وجود خبرة دينية معاشه، كما ذكر جيمس سابقاً بأن مصدر الإيمان هو الشعور، "وتركيزه على الأساس الوجداني راجع لإيمانه بأن الشعور مصدر الدين الحقيقي وما الرؤية الفلسفية والدينية إلا نتاج عرضي"، يعتبر هنا جيمس الوجدان المنطلق الأساسي في الدين باعتباره أن الشعور مصدر الإيمان والفلسفة والدين نتائج عرضية، لأن الوجدان يكون الأساسي في العقائد وليس العقل وهذا ما استنتجه من علم الأديان، "، إن النظريات التي تنشأ لتدعيم الدين سواء كانت في صور كتب مقدسة أو في صور فلسفات برهانية ماهي إلا أشياء ثانوية في تدعيم الدين،<sup>2</sup> كما تطرق جيمس إلى دور العقل في علم الأديان فهو "أما الأساس العقلي فهو ثانوي في علم الأديان، فالذهن وظيفة ثانية بعد الوجدان في ترتيب العقائد وتنظيمها، فإذا كان لعم الدين أساس ذهني فإن ذلك يجعله علماً موضوعياً إلى حد كبير"<sup>3</sup>

- أهم الانتقادات الموجهة لجيمس :

لقد وجهت انتقادات إلى جيمس من بين الانتقادات النقد الموضوعي الذي تلقاه من راسل حول إرادة الاعتقاد بحيث يقول "والأخيرة أي إرادة الاعتقاد بوجه خاص تلوح لي مستهدفة تزويدنا بدفاع مقبول في ظاهره ولكنه سفسطائي، عن بعض العقائد الدينية وهو فضلاً عن ذلك طبع مؤمن أن يتقبله بجميع قلبه"<sup>4</sup>، إن هذه الفكرة تلح بأن إرادة الاعتقاد هدفها أن يكون الاعتقاد صحيحاً حينما ينتج لنا منفعة وفائدة،

<sup>1</sup>محمود زيدان: وليم جيمس ، ص157.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص157

<sup>3</sup>محمود عبد الحفيظ: الفلسفة والاعتقاد الديني ص 141

<sup>4</sup>جون لويس: مدخل إلى الفلسفة، ترجمة انور عبد الملك ، بيروت 1973 ، ص159.

وأثر عمليا نافعاً، كما يرى جيمس أنه لا يمكننا أن نحيل ونعيش دون وجود قدر من الإيمان والاعتقاد، ولماذا الانسان لا يلجأ إلى الاعتقاد وما دام يحقق من نؤمن به.

لذلك يرى راسل أن المؤمن الحقيقي والفعلي لا يؤثر الاعتقاد فيه بمجرد القول إنني أمنت لأنني سعيد ومطمئن فلايمان بالله لا يكون من أجل الراحة والسعادة لأن الإيمان الصادق والاعتقاد المفيد والصادق كذلك لدى المؤمن الحقيقي يكون بعيد كل البعد عن ما يترتب من نتائج نافعة كما أنه لا بد من وجود العقل فإذا وجد العقل وجد الاعتقاد حسب رأي راسل.

كما أن جيمس في إرادة الاعتقاد له نقطة أخرى وهي أن وجود الله إذا كان يؤثر في نفس الإنسان فغن ذلك يظهر من خلل أنه سلوكه ويخلق التفاؤل والخير والسعادة وهذا وإن حل فإنه على أن جيمس يستدل على وجود الله من خلال مما ينتج من آثار وإن كان فرض جيمس لوجود الله يؤدي إلى نتائج مفيدة وملائمة عليا وسلوكيا فهذا يدل أن الله موجود وهذا يدل على أن جيمس لا يهتم إن كان الله موجودا فعلا وكما لا يوليه ذلك أهمية كبيرة، وكل ما يهمهم في ذلك هو الاعتقاد وما ينتج عنه من فوائد والجانب العملي وقد جعل من التجربة الدينية هي طريق الإيمان بوجود الله ومدام الإنسان يسلم بهذه التجربة الدينية مما يجعل جيمس لا يهتم أن كان الله موجود أو غير موجود.

نعود مرة أخرى كما ذكر سابقا أن جيمس بأن الإله ليس مفارق ولا متحد مع العالم باعتباره أن افله المفارق لا يكون مرتبط مع الانسان، كما أن افله المنتاه ليس إلها حقيقيا باعتباره ليس العلة الأولى، ويرفض فكرة التدبير الكوني باعتباره أن الاله متناهي في أفعاله وقدرته وبالتالي هنا يجعل من الإنسان ليس خاضع لله، وهذا يوصلنا إلى فكرة أن جيمس يرفض فكرة الخلاص باعتباره أن الله يخلص الذات بمعونته وأن الإنسان يتخلص من ذنوبه عن طريق مما يقدمه من عمل.

فالعالم المكتمل لا يحتاج إلى فكرة الخلاص ما دام كل أجزائه قد اكتملت فالإنسان إذا رغب في الخلاص وتحقق فهذا يعني أنه اكتمل النقص الموجود في العالم وهذا يبعد القلق والحيرة والخوف ولكن هذا القول يد على أن الله لا يضمن كمال العالم وخيرته، وكأنه ناقص وغير قادر علة تحقيق الخلاص والكمال إلا إذا تشارك متع الإنسان بمعنى آخر أن يشارك الإنسان الله في خلقه واكتماله ولكن هذا ما يتصف به الله من الوجدانية .

إن ما جاء به جيمس من إرادة الاعتقاد وفرض وجود لله من أجل منافع ومكاسب من خلال ذلك الاعتقاد هو في الحقيقة يعتبر ربط نفعي وإفراغ شديد لمفهوم الإيمان من محتواه الفعل، أما بالنسبة للدين فقد

استبعد جيمس المفهوم الحقيقي للدين باعتبار أن الدين هو اعتقاد بدين سماوي وكتب منزلة وراسل، فقد اهتم جيمس بالتجارب الدينية وخاصة الشخصية ولكنه ذهب بتلك التجارب الدينية إلى ما هو أبعد من ذلك بحيث صار يعطي الاهتمام الأكبر إلى النتائج والآثار النفعية والمفيدة الناتجة عن تلك التجارب الدينية، حتى أنه وضع الاعتقاد بالله كبديل لله وهذا يعتبر انحراف عن الدين الحقيقي ومخالف للأديان الأخرى أو كما يسمى الشرك بالله لأن جيمس قام بتبيان صفات الله والتي يرفضها كل دين وكل متدين حقيقي أو مؤمن حقيقي.

يقول جيمس عن الإيمان لا يهم إن كانت صحيحة فنحن نؤمن لأنه يجبر بخاطرننا فقط وهذه النتائج التي توصل إليها جيمس فيما يخص الدين من خلال المنهج البراغماتي أو صلة حالة من الانحراف عن الدين والاحاد وهنا يعتبر الإيمان الذي ناد به جيمس ليس إيمانا حقيقيا وإنما هو إيمان من أجل الفائدة والمنفعة وحتى وإن كان جلب المنفعة عن طريق الدين فلا يهم ذلك.

وقد أثر ذلك على جيمس من خلال تربيته الدينية وأخرى ممارسته للأبحاث النفسية ودراسات السيكلوجية في علم النفس إن هذه العوامل جعلت جيمس ينحاز إلى الدين والإيمان بالمعتقدات التي تكون ذات منفعة فهو يربط الدين الحقيقي بالخير أم الدين الذي ينتمي إلى نفس الضمير الذي يشعر صاحبه بالإحساس بالذنب والشعور بالذنب وكذلك الخوف من الخطيئة، وهو ما يقصد به الأديان السماوية.

فمن يدقق مع الدين الذي يدعو إليه وليم جيمس فإنه يرى بأنه يدعو إلى الإلحاد وبسبب الإلحاد أن جيمس ربط منبوع أو صميم الدين هو الشعور أو العاطفة ولكن يصبح هنا الإيمان أشبه بحالة مزاجية باعتبار أن العاطفة غير ثابتة ومتغيرة، فعندما الإنسان يرجع إلى حالة الإلحاد وهذا لا ينطبق على الإيمان لأن الإيمان لديه عقائد دينية يقوم عليه وثابتة حتى انه أعتبر أن الدين الواحد الثابت إلا مجرد حقيقة فارغة، فهو يؤمن أن الدين يوجد إلا مع النفس المؤمنة والحياة المدنية: "وهناك من الأديان بمقدارها ما يوجد من أفراد، وقد وضع كتاب تعدد التجربة الدينية دليل على تعدد الأديان".

كما أن التجربة اللاشعورية غير كافية لتسويتها لأن الشعور نفسه لا يصبح واقعا بالنسبة للشعور إلا حين يدخل فيه معنى آخر أن اللاشعور لا يمكنه أن يكون واقعا إلا إذا كان في الصورة الشخصية "والظاهرة الجوهرية هي هنا فعل الإيمان الذي يحس الشعور معه بانفعالات خاصة، فيعلن أن هذه الانفعالات

الحقيقة وأنها من عند الله وليست التجربة الدينية ولا يمكن أن تكون في نفسها ومستقلة عن صاحبها موضوعية ولكن الشخص يضيف عليها قيمة موضوعية بهذا الاعتقاد الذي يدخله عليها<sup>1</sup>

جيمس قام باختيار الاعتقاد في الله إلا أنه في الأخير انزلق إلى الشرك والاحاد فهو لا يرفض مطلقاً تبيين أي موقف وبين مادام يوفر أي فائدة أو نفع، كما أن الاعتقادات لديه لا يهم إن كانت صحيحة أو خاطئة لأن الإيمان هو مصدر الحياة ومنبعها .

نعود إلى الأخلاق عند جيمس كذلك لم تخلوا من المعيارية التي خضعت لها الحقيقة باعتبار ان الإنسان هو معيار القيم الأخلاقية باعتبار أن الفرد له الحق في ان يصوغ قيمه ومثله وفق لأغراضه وحاجاته ورغباته، كما أن الفضيلة هي تحقق أكبر قدر من الرغبات.

ولكن جذور النسبية وبشكل قوي في البناء الأخلاقي لجيمس، ولكن هذا الأمر يخرج الدين من الأخلاقيات، بالرغم من أن جيمس ربط الأخلاق بعلم الدين، أي الدين الشخصي.

لقد حصر جيمس الدين في طابع براغماتي محض يتصف بالنفع والفائدة فقط لا غير إنه إيمان أو دين غير حقيقي بل لدين نفعي لذلك فإن من يدرس أو يرجع إلى الدين الذي نادى به جيمس فإن أول ما يبادر ذهنه هو المنفعة العملية التي تفيدها في الحياة وهو هذا أسلوب البراغماتية لأنها جاءت معبرة بشكل جيد عن مطامع مثالية العمل، كما تعبر عن روح المبادرة الفردية، وأن الحق للفرد في خلق فرص لنفسه من أجل النجاح وإقامة أعماله الناجحة.

ولذلك فلا غرابة أن يعرف الفكر الأمريكي بهذه الفلسفة البراغماتية والتي إذا قيل فكر أمريكي معناه البراغماتية وإذا قيل فلسفة براغماتية تعبر بصورة مباشرة عن المجتمع الأمريكي والتي همها الوحيد العمل والمنفعة وكان من الخطأ أن جيمس ربط الدين بالفلسفة البراغماتية .

إن عدم الاعتقاد بوجود الله لا يمكن أن يقدم نفعاً أو نتائج أو حتى استقرار النفس لقد تتبع جيمس لمعنى النتائج واتفق مع بيرس في نقطة مشتركة وهي أن النتائج أو الفكرة لا يكون لها معنى بقدر ما لها من نتائج،

<sup>1</sup> إيميل بدوتور: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، 268.

ولكن، جيمس خرج عن هذا الإطار وقرر أنه يمكننا أن نحكم على الأشياء أو الفكرة بأنها صواب أو خطأ، وهنا بالمعنى الذي تطرق إليه جيمس إلى النتائج أراد من خلالها أن يجعل حياة الإنسان مختبرا للتجارب، والنظر في النتائج إذا كانت مرضية فهي ذي معنى أما إذا لم تكن هناك نتائج مرضية ومباشرة فهي ليس لها معنى، ويظن البعض أن ذلك يعود بسبب تربيته الدينية في أسرته والتي كانت حياة مليئة بالتدين والتصوف مما خلقت منه روح الوجدانية، والتي أثرت عليه وجعلت منه يصدق و يتقبل مفاهيم لا يمكن حتى التحقق منها تجريبيا وهذا هو الملاحظ على تطبيق هذه الفكرة حول الله.

كما أن فكرة معيار الحق أو الصدق التي نادى بها جيمس والتي ترتبط بالنفع أتحا تؤدي بنا إلى النتائج كارثية لان الحقيقة نسبية غير ثابتة لأن ما يحصل من حقيقة في اليوم لا تكون نفسها في يوم آخر، ولذا هذه الحقيقة ليست حقا بالمعنى الحقيقي لأنها متعلقة بالمستقبل وتكون البرهنة عليها بالتجربة .

ولقد وجه لجيمس بأن البراغماتية تقوم على المنهج العلمي التجريبي من خلال أنها تعتمد على الواقع لإثبات صحة الأفكار، وفي الوقت نفسه ينادي إلى تقبل نظرية من دون أية دليل بمجرد أن نتائجها نافعة ومفيدة فإن هذا الأمر يتنافى مع المنهج العلمي تماما .

وإذا كان هناك تصوران الأول صادق والآخر كاذب ولا يوجد اختلاف في الحالتين فهذا يعني لا بد أن نفترض أن احدهما لا معنى له، "إن تصورك لا يمثل فكرة متميز-وإذا كان هناك صوران يقودانك إلى نفس النتيجة الجزئية، فإنك لن تستطيع أن تفترض أنهما معا يحملان نفس المعنى تحت اسمين مختلفين"<sup>1</sup>، إن معنى التصور كما يراه جيمس يعني إهمال، المضمون وإتباعه وظيفته، "فالتصور إن عدم الاعتقاد بوجود الله لا يمكن أن يقدم نفعاً أو نتائج أو حتى استقرار النفس لقد تتبع جيمس لمعنى النتائج واتفق مع بيرس في نقطة مشتركة وهي أن النتائج أو الفكرة لا يكون لها معنى بقدر ما لها من نتائج، ولكن، جيمس خرج عن هذا الإطار وقرر أنه يمكننا أن نحكم على الأشياء أو الفكرة بأنها صواب أو خطأ، وهنا بالمعنى الذي تطرق إليه جيمس إلى النتائج أراد من خلالها أن يجعل حياة الإنسان مختبرا للتجارب، والنظر في النتائج إذا كانت مرضية فهي ذي معنى أما إذا لم تكن هناك نتائج مرضية ومباشرة فهي ليس لها معنى، ويظن البعض أن ذلك يعود بسبب تربيته الدينية في أسرته والتي كانت حياة

<sup>1</sup>وليم جيمس :بعض مشكلات فلسفية ، مصدر سابق ،ص 150

المصدر نفسه :ص 34

ملیئة بالتدين والتصوف مما خلقت منه روح الوجدانية، والتي أثرت عليه وجعلت منه يصدق و يتقبل مفاهيم لا يمكن حتى التحقق منها تجريبيا وهذا هو الملاحظ على تطبيق هذه الفكرة حول الله.

كما أن فكرة معيار الحق أو الصدق التي نادى بها جيمس والتي ترتبط بالنفع أنها تؤدي بنا إلى النتائج كارثية لان الحقيقة نسبية غير ثابتة لأن ما يحصل من حقيقة في اليوم لا تكون نفسها في يوم آخر، ولذا هذه الحقيقة ليست حقا بالمعنى الحقيقي لأنها متعلقة بالمستقبل وتكون البرهنة عليها بالتجربة .

ولقد وجه لجيمس بأن البراغماتية تقوم على المنهج العلمي التجريبي من خلال أنها تعتمد على الواقع لإثبات صحة الأفكار، وفي الوقت نفسه ينادي إلى تقبل نظرية من دون أية دليل بمجرد أن نتائجها نافعة ومفيدة فإن هذا الأمر يتنافى مع المنهج العلمي تماما .

وإذا كان هناك تصوران الأول صادق والآخر كاذب ولا يوجد اختلاف في الحالتين فهذا يعني لا بد أن نفترض أن احدهما لا معنى له، "إن تصورك لا يمثل فكرة متميز-وإذا كان هناك صوران يقودانك إلى نفس النتيجة الجزئية، فإنك لن تستطيع أن تفترض أنهما معا يحملان نفس المعنى تحت اسمين مختلفين"<sup>1</sup>، إن معنى التصور كما يراه جيمس يعني إهمال، المضمون وإتباعه وظيفته، "فالتصور

<sup>1</sup>وليم جيمس: بعض مشكلات فلسفية، مصدر سابق، ص 150

المصدر نفسه: ص 34

# خاتمة

## خاتمة :

وفي الاخير نخلص الى جملة النتائج التي توصلنا اليها من خلال هذا البحث والذي طرحنا فيه مشكلة الدين من خلال الفلسفة البراغماتية ، والتي تعتبر فلسفته فلسفة انسانية ، فلسفة الحياة والتي تعبر عن حياته الوجدانية وخبرته العلمية ، فالبراغماتية عند جيمس هي اسم جديد لطرائق قديمة في التفكير ن والتي نجدتها تضرب بجذورها في الفكر الامريكي بحيث تلعب الدور الكبير في الوقت المعاصر ، من خلال اساسها الامريكي ، ومن خلال براغماتية جيمس سوف نخلص الى جملة النتائج الاتية :

\_ نخلص من خلال نشأة البراغماتية في امريكا ، ان في الحقيقة وبعد عرضها تبين ان جذورها عميقة وقديمة ، لم تكن حديثة بحيث ظهر ان البراغماتية تضرب بجذورها الى الفلسفة الاغريقية.

\_ تعتبر السفسطائية القاعدة الاساسية التي انطلقت منها البراغماتية بالرغم من الفارق الزمني بينهما.

\_ تشترك البرغماتية مع السفسطائية والاغريقية في اعتبار ان الانسان مقياس كل شيء ، جيمس يعطي للإنسان اهمية كبيرة في فلسفته اذ يعتبر المحور الاساسي فيها .

\_ تأثر جيمس بفلسفات سابقة له مثل الالمانية والفرنسية والانجليزية الا ان هذا لا يعني انها تخلت عن مبادئها واصولها الفعلية.

\_ يعود تشكل البراغماتية الحديثة الى سكان اوربا المقبلين على امريكا بحيث تعاملت مع الاتجاهات الفلسفية المتضاربة واخذت ما يلائمها فقط .

\_ لم تنشأ البراغماتية على فيلسوف واحد فقد كان النادي الميتافيزيقي المتشكل من مجموعة اعضاء فلسفية يشكل شاهدا على ميلاد البراغماتية ، ولقد كان كل فيلسوف من النادي الميتافيزيقي متأثرا بفيلسوف اخر وكان بيرس متأثرا بكانط.

\_ يعد بيرس المؤسس الفعلي والاول للبراغماتية ، والاب الروحي لها ، فهو اول من صاغ مصطلح البراغما، بعد حصيلة الافكار والمعارف التي استنتجها من النادي الميتافيزيقي ، وخاصة المناقشات بين الفلاسفة والذي انعكس على الروح العملية في امريكا ، بحيث يقرر ان معنى الافكار ومعانيها تكمن في نتائجها العملية.

— وهناك من يرى بان جيمس لما كان متأثراً بكانط فقد اخذ منه معنى كلمة البراغماتية ،من كانط بحيث ميز فيها بين ما هو عملي والذي ينطبق على القوانين الاخلاقية ، وبين البراغماتي الذي ينطبق على قواعد الفن واسلوب يعتمد على الخبرة ، فان فلاسفة النادي الميتافيزيقي كانوا متأثرين بفلاسفة الانجليز .

—شكلت البراغماتية موقفا نقديا حول الفلسفات التي كانت سائدة في اوروبا طرحت من خلالها منهج جديد يتلاءم مع افرادها ،وكان بيرس اول من وضع المنهج البراغماتي ،بحيث جاء منهج بيرس معبرا عن حقيقة التفكير الامريكي .

—بعد اهمال البراغماتية لمدة عشرون عاما جاء المبشر الاعظم للبراغماتية وهو وليم جيمس ، وجاء المنهج البراغماتي لدى جيمس ، منهجا يقوم على اقصاء كل التصورات الفكرية المجردة للحقيقة ، باعتبار انه تصور لفظي خالي المضمون ، منهجه يقوم على التجربة والنتائج العملية المباشرة ،وغير المباشرة كمييار للحقيقة.

—بعد وضع بيرس للمنهج البراغماتي ، قام وليم جيمس بتطويره واصبح عليه بصبغة خاصة وقد ادخل عليه علم النفس ، بحيث اصبحت الدراسات الفلسفية ذات صبغة سيكولوجية ، مثل نظرية المعرفة ، نظرية الشعور واعتبر المنهج البراغماتي امتدادا لتيار المنفعة.

—من مقومات المنهج البراغماتي الذي وضعه جيمس ، نجد وبصفة اولية الدين ،وارادة الاعتقاد ، الاخلاق وكذلك الله ، فلقد عالج وليم جيمس التجربة الدينية على اساس براغماتي نفعي والتي شكلت اهم عنصر في المنهج البراغماتي وكما اشرنا سابقا ان هذا يعود الي نشأته وتربيته الدينية وخاصة ان اسرته متدينة.

—اما بالنسبة لما يخص النتائج التي توصلت اليها بالنسبة للدين وهو النقطة الاهم في موضوع بحثي فكانت النتائج كالتالي:

—اعطى جيمس الاهمية البالغة للإنسان واعتبره محور العملية الدينية ، بعدما كان الدين كوني في الفلسفات السابقة ، جعله دين شخصي فردي .

—الدين يقوم على فكرة المزاج ،من خلال ان الفرد له الحق في ان يعتقد فيما يشاء من اجل كسب الطمأنينة والسلام الروحي .

\_\_ لا يؤيد جيمس فكرة اكتمال العالم و وحدانيته ، بل العكس من ذلك يؤمن بالتعدد فالعالم عنده متعدد وهذا يدل على اختلاف وتعدد الاديان.

\_\_ يرجع بالفكرة الدينية الى طبيعة شخصية يرفض الواحدية ، فالدين يكمن في شعور لدى كل فرد او اعتقاد اي فرد يمنحه منفعة وفائدة ولا يهم نوع الاعتقاد الذي يعتقد فيه الانسان ، المهم النتائج المترتبة عن ذلك الاعتقاد ، هل حقق لي الاعتقاد والايان نتائج منفعية .

\_\_ دافع جيمس عن فكرة الحرية ، باعتبار ان الدين يتطلب حرية الفرد في ان يختار فيما يعتقد ، وهذا ما يظهر في مذهبه التعددي ونزعتة الاخلاقية ، من خلال ان الانسان يخلص نفسه يصنع عالما خيرا ليكون سعيدا به

\_\_ الايمان والاعتقاد عند جيمس يقوم على الارادة ، فالإرادة اذا غابت لا معنى للأيمان والاعتقاد ، والدين عنده لا يقوم على القوة والغضب بل بالرغبة في ذلك ، والدين قائم علة مجموعة من الانفعالات .

\_\_ يرجع جيمس الظاهرة الدينية الى الحالة اللاشعورية ، اي ذلك الجانب الخفي الذي يتصل بقوة اعظم منه تأمين له الامن والاستقرار والراحة ، وقد اكتشف ذلك من جملة التجارب على المتدين .

\_\_ يعتبر جيمس جوهر الدين التجربة الدينية ، ولكنه لا يعطي الاهمية الى نوع التجربة الدينية سواء كانت داخل النطاق الديني او خارجه ، الالم في ذلك هو النتائج المترتبة عن تلك التجربة الدينية.

\_\_ اما الاخلاق فقد اخضعها جيمس الى معايير الحقيقة ، فجعل الانسان معيار القيم الاخلاقية ، بمعنى لكل فرد يقوم بصياغة قيمه ومعايير الاخلاقية وفقا لرغباته وحاجاته ، اي انه لا توجد قيمة اخلاقية واحدة.

ما نخلص القول اليه وكإجابة نهائية عن الاشكالية ان جيمس عاجل الدين على اساس براغماتي محض ، وجعل البراغماتية اساس للدين ، من خلال انا الانسان اذا حقق له الاعتقاد ما ينفعه ويرضيه ، وما يؤمن له الراحة النفسية والطمأنينة ، فليعتقد اما اذا كان الاعتقاد لا يجلب النفع فلا داعي الى الايمان والاعتقاد ، وهذا ما جعل جيمس ينزلق الى الاحاد والشرك ، فقد اخرج الدين عن صيغته الاصلية فنحن لم نعتد ان نرى الدين يكون مادي او منفعي ، فهذا يتعارض مع مبادئ الانسان ، فالدين عند جيمس يدعو الى الشرك والاحاد وخاصة انه دعا الافراد الى الاعتقاد فيما يشاء ، اي لا يهمه فيما يعتقد الانسان او حتى اذا كفر ، او اشرك المهم ان يتحقق له المنفعة والسعادة ، ربط جيمس الدين بالنتائج المنفعية.

# المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

أ/ قائمة المصادر

1. \_ وليام جيمس: البراغماتية، تر: محمد علي العريان، تقديم: زكي نجيب محمود، القاهرة، (2008) 1947
  2. \_ وليام جيمس: العقل والدين، ترجمة محمود حب الله، بيروت: دار الحداثة: د.د.ت
  3. \_ وليام جيمس: بعض مشكلات فلسفية، ترجمة، د محمد فتحي الشنطي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
  4. \_ وليام جيمس: ارادة الإعتقاد، ترجمة دكتور محمد حب الله، دار حياء الكتب العربية، 1946
- ب/ المصادر باللغة الأجنبية:

1. Williams James: le pragmatisme et la religion: in le pragmatisme, traduction Français, introduction: Bergson (h): éducation Flammarion

ج/ قائمة المراجع:

1. \_ د: مصطفى النشار، مدخل جديد الى الفلسفة، دار قباء للطباعة و للنشر والتوزيع، القاهرة ط4، 1998
2. \_ فؤاد كامل: أعلام الفكر الفلسفي، دار العبير بيروت، ط1، 1993
3. \_ هربرت شنيدر، تاريخ الفلسفة الامريكية، تر، محمد فتحي الشنطي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1964
4. 20 جماعة من اساتذة سوفيات، موجز تاريخ الفلسفة، تر، توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، لبنان
5. ابو الوليد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، دار المعارف. القاهرة: ط 3 1198.

6. امين عثمان :ديكارت ،مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة ، ط2،1964
7. ايمانويل كانط : الدين في حدود مجرد العقل ، ترجمة فتحي المسكني ، جداول للنشر والتوزيع ، بيروت 2012،
8. ايميل بوترو ، العلم والدين ، في الفلسفة المعاصرة ، ت رجمة أحمد فؤاد الاخواني ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، د . ط ، 1973
9. جون لويس: مدخل إلى الفلسفة، ترجمة انور عبد الملك ، بيروت 1973
10. حنفي حسن : تطور الفكر الديني الغربي: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت 2004
11. د زكي نجيب محمود : من زاوية فلسفية ، دار الشروق ، الطبعة 4
12. د مصطفى النشار : مدخل الى الفلسفة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ط4 ، 1998
13. زكرياء ابراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر، القاهرة ، 1968 .
14. زكرياء ابراهيم ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر، القاهرة ، 196
15. زكي نجيب محمود : نافذة على فلسفة العصر سلسلة فصيحة تصدرها مجلة العربي ،الكتاب السابع والعشرون ، 15 افريل 1990 .
16. زكي نجيب محمود ، حياة الفكر في العالم الجديد ، دار الشروق ، دون مكان الطبع ، ط 2 ، 1982
17. سبينوزا : ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم حسن حنفي ،مراجعة زكرياء ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 2005
18. عبد الرحمان بدوي : فلسفة العصور الوسطى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط2. 1969
19. عبد المتعال زين العابدين : في الفلسفة المعاصرة الخرطوم ، طبعة جامعة النيل ، 1994
20. فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، 1993
21. كلي رايت ، وليم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمود سيد احمد ، تقديم ومراجعة :امام عبد الفتاح امام ، الطبعة الثانية ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ،
22. محمد عبد الحفيظ ، الفلسفة والنزعة الانسانية ، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 2006
23. محمد فتحي الشنيطي ، وليم جيمس ، مكتبة القاهرة الجديدة ، مصر ، ط 1 ، 1957

## قائمة المصادر والمراجع

24. محمد مهديان رشوان: مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، مدخل إلى دارسة الفلسفة المعاصرة، د.ط، درا الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1984
25. محمود زيدان، وليام جيمس، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 1 ط ، 2005
26. محمود عبد الحفيظ ، الفلسفة والاعتقاد الديني ، وليام جيمس نموذجا ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 2005
27. منصور عبد العزيز الحجيلي : البراغماتية عرض ونقد
28. هونتر ميد ، الفلسفة انواعها ومشكلاتها ، تر ، فؤاد زكريا ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط 2 ، 1975.
29. هيغل تاريخ الفلسفة ، ترجمة اما عبد الفتاح امام ، المكتبة الهيكلية ، المجلد الثالث ، مكتبة مدبولي ، ط1 1998
30. هيغل فينومولوجيا الروح : ترجمة ناجب العولني ، مركز دار الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت 2006
31. ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، تر، فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1977.
32. ول ديورانت :قصة الفلسفة من افلاطون الى جون ديوي ، ترجمة الدكتور فتح الله محمد المشعشع ، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت ط6، 1988
33. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 5 ، د.ت.
34. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت لبنان، د.ط.ت.

### د/ الموسوعات والمعاجم:

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1982
2. المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، القاهرة، جمهورية مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983م، 1409هـ
3. الموسوعة المسيرة في الأديان و المذاهب المعاصرة

هـ / المجلات والدوريات:

1. فلسفة الدين عند سبينوزا : دكتور منذر شباني ،مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، سلسلة الآداب والعلوم الانسانية ، المجلد 37 العدد 3، 2015
2. مؤمنون بلا حدود :الدين كتجربة والاعتقاد كارادة ،حمادي انور باحث مغربي ، مؤسسة دراسات وابحاث، قسم الفلسفة والعلوم الانسانية، 2016

و/ المقالات :

1. سفيان البطل ، تحولات في فهم الظاهرة الدينية وليم جيمس نموذجاً ،2016/14/05
2. منتهى جاسم ،سيكولوجية الدين عند وليم جيمس ، حوار المتمدن ، العدد 3352، 2012
3. هاجر موحنيطو ،فردانية التجربة الدينية وليم جيمس نموذجاً ،قسم الدراسات الدينية ،31ماي 2014

ز/ مذكرات واطروحات :

1. أم كلثوم ابراهيم احمد ،براغماتية وليم جيمس ،رسالة الماجستير ،جامعة الخرطوم ،شعبة الفلسفة ،2004
2. خالد عياشي ،نقد الميتافيزيقا في الفلسفة الامريكية(وليم جيمس نموذجاً) ،رسالة ماجستير ،جامعة وهران
2. معهد العلوم الاجتماعية قسم الفلسفة ،2016/2015
3. وردة معزي، النزعة الانسانية في فلسفة وليم جيمس، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، قسم الفلسفة، 2008 / 2007

## المحتويات

الصفحة	فهرس الموضوعات
	شكر وتقدير
	الإهداء
	مقدمة
05.....	الفصل الأول: البراغماتية وعلاقة الفلسفة بالدين
6.....	أولاً: الفلسفة البراغماتية المفهوم والنشأة.
07.....	1: مفهوم البراغماتية.....
07.....	2: نشأة البراغماتية.....
10.....	3: مؤسس البراغماتية.....
15.....	ثانياً: تاريخ اشكالية العلاقة الدينية بالفلسفة.....
16.....	أولاً: الدين والفلسفة عند اليونان.....
16.....	ثانياً: الدين والفلسفة في العصور الوسطى.....
24.....	ثالثاً: الدين والفلسفة في العصر الحديث.....
31.....	الفصل الثاني: وليم جيمس ومنهجه البراغماتي.....
32.....	أولاً: جيمس ومنهجه البراغماتي.....
32.....	1: السيرة الذاتية لجيمس.....

40	2: معنى البراغماتية (جيمس).....
43	ثانيا: منطلقات المنهج البراغماتي.....
44	1 المعرفة و الحقيقة.....
49	2: ارادة الاعتقاد.....
53	3: الدين.....
55	4: التجربة الدينية.....
62	5: الاخلاق والدين.....
66	الفصل الثالث: اشكالية الدين كتجربة براغماتية.....
67	أولا: الطبيعة الدينية.....
67	1 الدين كتجربة شخصية.....
69	2 الدين كتجربة براغماتية.....
79	ثانيا: النقد.....
87	خاتمة.....
92	قائمة المصادر والمراجع.....
95	فهرس الموضوعات.....